

الحماديـة

شذرات تربوية حماسية لعشيرتي الأقربين (الحمادى)
من آل هويمل، من آل أبي رباع، من بكر بن وائل

كتبها

إبراهيم بن عبد الله المديهش

النشرة الأولى: «مقدمة» (١٤/ ١٠/ ١٤٤١هـ)

النشرة الثانية: «الحمادية» (١٤/ ٣/ ١٤٤٢هـ)

النشرة الثالثة: (٢٧/ ٧/ ١٤٤٢هـ)

النشرة الرابعة ـ مزيدة ومصححة ـ:

[١/ ٢/ ١٤٤٣هـ]

وحي الكتاب و فهرسته غير المرتبة

سبحان الله !!

ما أكثر مايقول الأطباء : إنها وراثة ! وكلُّها في باب الأمراض والعاهات؛ لأن مهنة الطبيب كشف العلة !!

س: هل توجد وراثة في باب الأمجاد والمكارم والمآثر والأحساب والأخلاق والعلم والفضائل ؟!

التذكير بالمكارم الطيبة الصالحة (الموروثة) من عشرات أو مئات السنين؛ حافز قوي لعمل الخير والامتناع عن الأعمال المشينة...

إليكم شذرات تربوية حماسية كتبتها لأسرتي الكبيرة (الحمادَىٰ) وهي وإن كانت بخطاب خاص، لمناسبة خاصة ؛ إلا أنها صالحة لعموم الأُسَرِ والْعَشائر والمُجْتَمَعَات، و « العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب».

تقرأ في هذا الكتاب = « الحمادية»

١. أنواع كتب الفهارس.
٢. لا يصح الفَخرُ بالنَّسَب، ولا العُجْبُ به، وإنما المَدَار علىٰ التقوىٰ والصلاح والعمل النافع للمسلمين.

٣. أنتَ بعمَلِكَ لا بأصْلِك.

٤. العِرقُ دسَّاس = قانون الرجعة= مماثلة الجدود.

٥. ما معنىٰ حديث: « الناس مَعادن» ؟

٦. متىٰ يكون الفخر بالأحسَاب ممنوعـًا ؟

٧. أثر مراعاة الأحسَاب الطيبة علىٰ الأُسَر والقبائل.

٨. العمـل الطيـب مـن فَـرْد واحِـد يُنسـبُ للأُسْـرَةِ كُلِّهـا، ولِلْقَبِيلـة، ولِلْبَلْدَةِ .

٩. فوائد الذكر الحسَن للأسرة .

١٠. العلم أشرفُ الأحسَاب.

١١. مساوئ الأخلاق تهدم المآثر الطيبة.

١٢. الأشراف ـ حسَبًا ـ يتنزهون عن المعايب والخوارم.

١٣. الحسد شؤم وعذاب علىٰ صاحبه.

١٤. يُستغرَبُ مـن أحفـادِ الرجـال أهـلِ الخيـر والصـلاح والمـروءة أن تصدر منهم أعمَالٌ لا تليق !

١٥. مآثِرُ الآباء مآثِرُ للأبناء والعكس = شرفُ الوالِدِ جزءٌ من ميراثه.

١٦. مآثرُ أجدادك تُحفِّزك علىٰ العمل بمثلِها أو أحسَن.

١٧. مآثرُ أجدادك أحياناً تَزَعُ أسرتَكم عن السوءِ أكثر مما تَزعَ المواعظُ.

آمل أن تكون هذه المنوعات إضافةً جديدةً للمكتبة الشرعية+ النسَبيَة+ الأُسَرِية+ الأخلاقية+ التربوية+الأدبية؛ فإني لا أعلم كتاباً جمَعَها في مَوضِعٍ واحد.

إلىٰ المجامع الكبيرة : مدينة / قبيلة / عشيرة / أسرة ...

إلىٰ القائمين علىٰ مناشط أُسَرِهم، دونكم « الحمادية» اتلوها علىٰ مسامع أبنائكم وبناتكم، ليزداد الخير، ويقل الشر...

أسأل الله أن ينفع بها ويبارك...والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً حمداً يليق بجلاله وعظيم سلطانه...

الحميدي بن حمد، من آل أبي رباع، من بكر بن وائل (ت 1095 هـ تقريباً)



أَلَمْ تَرَ صُوْرَةَ الْأَجْدَادِ فِيْهِمُ * عَلَيْهَا مِنْ مَلَامِحِهِمْ إِطَارُ

فَقِفْ تَرَ غرسَهُمْ يَنْمُوْ بِدَارَاً * بِدَارٍ نَحْوَهَا اشْتَدَّ البِدَارُ

محمد العيد آل خليفة الجزائري، « ديوانه» (ص٧٨)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلهِ حَقَّ حَمْدِهِ، وَالْصَّلَاةُ وَالْسَّلَامُ عَلَىٰ رَسُوْلِ اللهِ وَعَبْدِهِ، مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ **أما بعد**

فَقَدْ كَتَبْتُ مُقَدِّمَةً فِيْ (٢٨ صَفْحَةً) لِكِتَاب: «**دَلِيْلُ الْنِّتَاجِ الْعِلْمِيِّ لِلْحَمَادَىٰ**» تَأْلِيفُ: د. عَلِيِّ الْحُمُوْدِيِّ، انْتَهَيْتُ مِنْهَا فِيْ (١٤/ ١٠/ ١٤٤١هـ)، أَخَذَتْنِيْ فِيْهَا الْحَمِيَّةُ الْصَّالِحَةُ وَالْمَحَبَّةُ الْصَّادِقَةُ مَأْخَذاً، وَصَاحَبَنِي الْشَّوْقُ وَالْخَوْفُ، وَالْفَرَحُ وَالْرَّهْبَةُ لِلْحَمَادَىٰ وَمِنَ الْحَمَادَىٰ وَإِلَىٰ الْحَمَادَىٰ... فَجَاءَتْ تَتَهَادَىٰ .

وَلَمَّا اطَّلَعَ عَلَيْهَا د. الْحُمُوْدِيُّ، قَالَ لِيْ مَا قَالَ، ثُمَّ أَعَادَ لِيْ مَا قَالَ، ثُمَّ كَرَّرَ لِيْ مَا أَعَادَ، وَكَانَ مِمَّا قَالَ لِيْ وَكَرَّرَ: أَنْ أَنْشُرَ الْمُقَدِّمَةَ فِيْ جُزْءٍ مُفْرَدٍ يُتَدَاوَلُ [1] ـ **وَهُوَ مَا كُنْتُ عَازِمًا عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ** ـ، وَأَبْلَغَنِيْ بِمَا قَالَهُ لَهُ

---

(١) خَاصَةً بَعْدَمَا وَالَيْتُهُ بِالزِّيَادَاتِ، وَرَأَىٰ أَنَّ الْمُقَدِّمَةَ طَالَتْ، وَالْكِتَابَ فُهْرِسَ، وَمَوضِعَ الزِّيَادَاتِ فِيْ هَذَا الْجُزْءِ الْمُفْرَدِ، وَفِيْ كُلٍّ خَيْرٌ ـ وَالْحَمْدُ للهِ أَوَّلاً وَآخِراً ـ .

مَنْ رَاجَعَ دَلِيْلَ النِّتَاجِ مِنْ خَارِجِ الْحَمَادَىٰ؛ فَزَادَتْ الْمَحَبَّةُ، وَتَضَاعَفَ الشَّوْقُ، وَعَظُمَتِ الْفَرْحَةُ، فَجَاءَتْ مُسْرِعَةً وَلَمْ تَتَهَادَ .

هَذِهِ الْحَمَادِيَّةُ ـ أَكْرَمَكُمُ اللهُ بِطَاعَتِهِ ـ فِيْهَا زِيَادَاتٌ كَثِيْرَةٌ عَلَىٰ مَا فِيْ مُقَدِّمَةِ الْدَّلِيْلِ، فَانْتَقَلَتْ مِنْ مُقَدِّمَةٍ إِلَىٰ عِلْمِ الْمُحَاضَرَاتِ.

وَسُبْحَانَ اللهِ ! تَأَمَّلْ أَثَرَ مُقْتَرَحِيْ لِلْحَمَادَىٰ كُلِّهِم بِإِفْرَادِ دَلِيْلٍ لِلْنِّتَاجِ الْعِلْمِيِّ، ثُمَّ عَادَ الْمُقْتَرَحُ عَلَيَّ فِيْمَا بَعْدُ بِإِفْرَادِ الْمُقَدِّمَةِ ! نَعَمْ، أَيُّ عَمَلٍ يَتَّحِدُ فِيْهِ أَهْلُ الْاخْتِصَاصِ لِلْهَدَفِ الطَّيِّبِ ؛ يُثْمِرُ هَذِهِ الْتَّدَاوُلَاتِ الْمُبَارَكَةِ، وَالْأَعْمَالَ الْمُثْمِرَةَ؛ وَالْكَلِمَةُ الْطِّيِّبَةُ صَدَقَةٌ ... فَتَعَاوَنُوْا أَبْنَاءَ وَبَنَاتِ الْعَمِّ فِيْ كُلِّ خَيْرٍ يَخْدِمُ أُسْرَتَكُمُ الْكَبِيْرَةَ « الحَمَادَىٰ ».

مَا سَامَ ذو رَأيٍ سَديدٍ مَطْلبًا * إلَّا غَدا بيَدِ الْمَعونَةِ يُعْضَدُ

وَلَنا نُفوسٌ لَمْ تُنَطْ آمالُها * إلَّا بما هُوَ في المَعالي أمْجَدُ

أَفَلَا نَسيرُ مَسيرَ ذي رُشْدٍ إلَى * آثَارِ مَا قَدْ أَسَّسُوهُ وشَيَّدُوا

فَلَطالَمَا حَوَتِ الغَنائِمَ جَوْلَةٌ * مِنْ رائِدِ النَّظَرِ الَّذي لا يَخْمَدُ

إنَّ المَعارِفَ والصَّنائِعَ عُدَّةٌ * بابُ التَّرَقِّي مِنْ سِواها مُوصَدُ[١]

---

(١) العلامة: الخضر حسين (ت ١٣٧٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ « موسوعة الأعمال الكاملة » (٧/ ٨٩).

وَإِنِّيْ أَرْجُوْ أَنْ تَكُوْنَ هَـذِهِ الْحَمَادِيَّـةُ حَمَادِيَّـةً مُفِيْدَةً لِعَامَّـةِ الْأُسَـرِ وَالْعَشَائِرِ فِيْ بِلَادِ الْإِسْلَامِ كُلِّهَا، لِأَنَّهَا تَضَمَّنَتْ نُصُوْصَـًا وَدِلَالَاتٍ لَمْ أَرَهَـا مَجْمُوْعَـةً فِيْ مَوْضِـعٍ وَاحِـدٍ، دَالَّـةً عَلَىٰ الْحِفَـاظِ عَلَىٰ الْقِيَمِ وَالْأَحْسَـابِ الطَّيِّبَـةِ، وَبِهَـا تُحَـرَّكُ الْمَشَـاعِرُ الْفِطْرِيَّـةُ وَالْعَصَـبِيَّةُ الْصَّـالِحَةُ لِلْأَخْـذِ بِالْمُرُوْءَاتِ[1]، خَاصَّةً أَنَّنَا فِيْ زَمَنٍ نَحْتَاجُ فِيْهِ الْحَدِيْثَ حَوْلَ هَذِهِ الْمَعَانِيْ، وَتَرْبِيَةَ أَوْلَادِنَا عَلَيْهَا؛ لِوُجُـوْدِ حَمَلَاتٍ عَالَمِيَّةٍ تَهْدِفُ لِزَعْزَعَةِ الْعَائِلَةِ = الْبَيْـتِ الْوَاحِـدِ، ثُـمَّ الْأُسْـرَةِ الَّتِـيْ تَجْمَـعُ بُيُوْتَـًا عَدِيْـدَةً[2]، وَهَـذَا الْحَـثُّ وَالْتَّرْغِيْبُ يَأْتِيْ بَعْدَ الْحَدِيْثِ الْشَّرْعِيِّ الْمَلِيءِ بِالْنُّصُوْصِ الْشَّرْعِيَّةِ تَرْغِيْبًـا وَتَرْهِيْبًـا...

---

(١) لـئن جـاءَتْ الصـورُ الحمَاسيَّةُ في كُتُـبِ الأدَب عَـن الْأقَـارب مَحصُـورةً في القِتـال، والشجَاعة، والكَرَم، فإنَّ مَا سُقْتُه هنا تَدُورُ حولَ الحِفَاظِ علَىٰ العِلْـم ونَشْـرِهِ، ومَكـارِمِ الأخـلاق والسُّـمْعَةِ الطيِّبـةِ، وسبَبُ ذلـك: أنَّ هـذا البحـثَ كُتـبَ أوَّلاً مقدِّمـةً لكتـاب « دليـل النتـاج العِلْمـي للحمـادَىٰ» ، ولِأنَّ بِـالعِلْمِ والصـنَاعةِ والنِتـاجِ المُثمِـرِ للْعِبَـاد والبِلاد، تُبْنَىٰ البُلْدَان وتَرتقِي.

(٢) العائلةُ نَوَاةُ الأُسْرَةِ، والأُسْرَةُ نَوَاةُ المُجْتَمَعِ، وثمَّـةَ فَـرقٌ بـين العائلـة (البيـت الواحـد)، والأسرة (مجموعة بيوت)، وقد كتبتُ في هذا بحثـًا بعنوان: « ما معنىٰ الأسـرة، وهـل تُطلق علىٰ الرجل مع زوجِه وأولادِه ؟ » في (٥٠ صفحة) منشور في الشبكة العالمية.

وَإِنِّيْ أُؤَمِّلُ أَنْ تَسْتَفِيْدَ عَامَّةُ الْأُسَرِ فِيْ: مَواقِعِها التِّقَنِيَّةِ، ومَجَلَّتِهَا، وَكِتَابِهَا، وَمَطْبُوْعَاتِهَا، وَمُلْتَقَيَاتِهَا، مِنْ نُصُوْصِ هَذِهِ الْحَمَادِيَّةِ، مَعَ الْإِحَالَةِ إِلَيْهَا، فَالْأَمَانَةُ الْعِلْمِيَّةُ وَاجِبَةٌ...[1]

رَاجِيًا مِنَ اللهِ الْكَرِيْمِ الْوَهَّابِ أَنْ يُيَسِّرَ لِيْ مُتَابَعَتَهَا وَتَنْمِيَتَهَا فِيْ نَشَرَاتٍ قَادِمَةٍ؛ لِتَكُوْنَ رِسَالَةً تَتَدَاوَلُهَا الْأُسَرُ، فَبِصَلَاحِ الْأُسَرِ صَلَاحُ الْبُيُوْتِ الَّتِيْ تَحْتَهَا، وَصَلَاحُ الْعَشَائِرِ وَالْأَفْخَاذِ الَّتِيْ أَعْلَىٰ مِنْهَا، وَبِصَلَاحِهِمْ صَلَاحُ الْمُجْتَمَعِ...

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ شُؤُوْنَنَا كُلَّهَا، وَاحْفَظْ عَلَيْنَا جَمِيْعًا دِيْنَنَا، وَأَمْنَنَا، وَبِلَادَنَا، وَوُلَاةَ أَمْرِنَا، وَعُلَمَاءَنا، وَقِيَمَنَا، وَرَخَاءَنَا، وَاجْتِمَاعَنَا، وَزِدْنَا خَيْرًا عَلَىٰ خَيْرٍ، وَأَعِنَّا عَلَىٰ ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسلِّمْ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

(١٤/ ٣/ ١٤٤٢هـ)

إِلَى الْشَّذَرَاتِ فِيْ هَذِهِ الْمُحَاضَرَاتِ وَهِيَ مَثَانٍ

---

(١) انظر نصوصَ الأئمة في الأمانة العلمية، والإحالة إلىٰ المصدر المنقول منه: كتابي: «النجديون في الهند» (ص ٣٣ـ ٣٧).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِيْنَ، نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ

أما بعد

فَإِنَّ طِيْبَ الفُرُوْعِ مِنْ طِيْبِ الأُصُوْلِ [١]، وَالطِّيْبُ مِنْ مَعدَنِهِ لَا يُسْتَغْرَبُ .

قَوْمٌ إِلَى شَرَفِ الآبَاءِ نِسْبَتُهُمْ * فَطِيْبُ فَرْعِهِمُ الزَّاكِيْ بِأَصْلِهِمُ [٢]

إِذَا طَابَ أَصْلُ الْمَرءِ، طَابَتْ فُروعُه * وَهَلْ يَرْجِعُ الإِنسَانُ إِلَّا إِلَىٰ أَصْلِ [٣]

---

(١) يُنظر في هذا المعنىٰ: « حُسْنُ التنبُّه» للغزي (٢/ ٤٢٨).

(٢) البيت لأحمد بن خلف أبي العباس المعروف بالممتع. «بغية الطلب في تاريخ حلب» (٢/ ٧٢٨)، ولأحمد أمين كلام عن الوراثة في كتابه: « الأخلاق» (ص٢٦).

(٣) البيت للحسين بن عبدالرحمن ابن العجَمي الحلبي (ت ٥٣٤هـ). « مجمع الآداب» لابن الفوطي (٣/ ٣٧٣) ، وانظر في المعنىٰ: « الحماسة» للبُحتري (٢/ ١٧٣).

وَإنَّ أَطيَبَ الطِّيْبِ: نِتَاجُ العُقُوْلِ، وَاصِلُ الْفُروْعِ بِالْأُصُوْلِ، وَمُخلِّدُ صَاحِبَهِ أَبَدَ الْدُّهُوْرِ... [١]

هَاهِيَ ثِمَارٌ مِنْ أَجْمَلِ وَأَفْضَلِ الْثِّمَارِ[٢] تتَدَلَّىٰ بين أيدِيكُم آلَ الحُمَيدِي ـ أَسْعَدَكُمُ اللهُ وَ أَسْعَدَ بِكُم ـ، تَجِدُوْنَ فِيْهَا مِنْ كُلِّ لَوْنٍ مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ، وتَلَذُّ أَعْيُنُكُمْ، صِنْوَانٌ وغَيْرُ صِنْوَانٍ، خَرَجَ مِنْ صُلْبِ وَاحِدٍ = جَدِّنَا الحُمَيْدِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

إنَّ الحمادَى، نِسْبَةً لِجَدِّنَا **الْسَّابِعِ**: الْحُمَيْدِيِّ بْنِ حَمَدٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، مِنْ آلِ هُوَيْمِلْ، مِنْ آلِ أَبِي رَبَّاعٍ[٣]، من بَكْرِ بْنِ وَائِل (توفي ١٠٩٥هـ تقريباً)،

---

(١) لِشَرافةِ النسَب، وكرَمِ النِّجار، مَدخلٌ في كون أهلِه خياراً. « نيل الأوطار» (٩/ ٣٧٩).

(٢) الكتابُ الذي كُتِبَتْ له أصلُ هذه الحمَادِية: « دليل التاج العلمي للحمادىٰ» د. علي الحمودي .

(٣) جميعُهم كانوا في « أشيقر» فقط، ثم خرجوا منها سنة (٨٠٠هـ تقريباً) إلىٰ « منطقة سدير» : في التويم، والمَجْمَعة، وحَرْمَة. ثم خرج مَن كان في « التويم» سنة (١٠٤٥هـ): آلُ هُوَيمِل إلىٰ بلدة « الشقة» في القصيم، وأبناءُ عمِّهم آلُ حمَد إلىٰ « حُرَيْمِلاء».

انْتَقَلَ مِنَ بَلْدَةِ « الْتُّوَيْم» فِي« مَنْطِقَةِ سُـدَير » إِلَىٰ بَلْدَةِ « الْشِّقَّة» فِـيْ شَـمَالِ غَرْبِ « بُرَيْدَة» فِي« مَنْطِقَةِ القَصِيْم» سَنَةَ (١٠٤٥هـ) ، وَلَـهُ خَمْسَـةُ أَوْلَادٍ ، تَفَرَّعَ مِنْهُم خَمْسٌ وعِشرُون أُسْـرَةً، كُلُّهَا مِنَ العَشِيرَةِ الأقـرَبِيْنَ، يَجْمَعُهُـمْ هَذَا الجَدُّ القَرِيْبُ، وقَدْ اشتُهِرُوا بلَقَبِ « الحَمَادَىٰ ». (١)

---

(١) ترتيبهم هجائيًا:

[١] سالم ، وَمِنْهُ : أسرة المديهش ، و الحمودي ، والجوعي ــ ومنهم عائلة باسم الفهد ــ ، والصبحاوي، والشويهي، والخَضِيْري، والفهَدي، والطعِيسان في بغداد.

[٢] سليمان ، وَمِنْهُ : أسرة السديس، والحضيف ، والجفير ــ ومنهم عائلتان باسم السديس ــ ، والفراج، والحواس .

[٣] عبدالله ، وَمِنْهُ : أسرة العقيل أبناء عقيل بن محمد بن عبدالله ، والكلية، والبعيمي، والغازي، والرشيد، والسعود .

[٤] علي ، وَمِنْهُ : أسرة الفايزي، ـ ومنهم أسرة الرعوجي ـ ، والعصيلي، والخويلدي، والعقيل أبناء عقيل بن عبدالله بن حمود بن علي بن حمود بن علي.

[٥] محمد ، وَمِنْهُ : أسرة القصيِّر .

* قال عمارة بن علي الحكمي اليمني (ت ٥٦٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في « النكت العصرية» (ص٧) : (وَلَمْ تَزَلْ الْعَرَبُ تَعُدُّ مِنْ أَفْضَلِ أَحْسَابِهَا: ذِكْرَهَا لِأَنْسَابِهَا، وَمَنْ عَرَفَ الْشَّرَفَ لِقَدِيْمِهِ؛ لَمْ يُنْكِرْ صِحَّةَ أَدِيْمِهِ).

=

تَشَابَهوا في العُلا حتَّى كأنَّهُمُ * لَمْ يُفتَقَدْ لَهُم مَيتٌ ولَا افترَقُوا[(١)]

ورِثوا السّؤْدُدَ عن آبائِهِمْ * ثُمَّ سَادُوا سُؤدُداً، غَيرَ زَمِرْ[(٢)]

وَهُمْ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

هَيْنُونَ لَيْنُونَ أيسَارٌ ذَوُو يَسَرٍ * سُوَّاسُ مَكْرُمَةٍ أَبنَاءُ أَيْسَارِ

لا يَنْطِقُونَ علىٰ الفحشَاءِ إنْ نَطَقُوا * ولا يُمَارُونَ إنْ مَارُوا بإكثَارِ

=

فروعٌ لا تَرفَّ عليك إلا * شهدتَ لها علىٰ طِيبِ الأروم

وفي الشرَفِ الحديثِ دليلُ صدقٍ * لمُخْتَبِرٍ علىٰ الشرَفِ القديم

« ديوان أبي تمام» ط. المعارف المصرية (٣/ ١٦٣)

وَلَوْ كَتَمُوا أَنْسَابَهُمْ لَعَرَّتْهُمُو * وُجُوهٌ، وفِعْلٌ شَاهِدٌ كُلَّ مَشْهَدِ

المعرِّي « سقط الزند» (ص٨٩)

أُمَّةٌ أَوْدَعَتِ التَّاريخَ مَا * بَهَرَ الأحْفادَ مِنْ فَخْرٍ وَراقَا

وَصَلَ الأَحْفادُ مَجْداً تالِداً * بِطَرِيفٍ فَازْدَهى المَجْدُ اتِّسَاقَا

« موسوعة مؤلفات الخضر حسين» (٧/ ١٥٨)

(١) « محاضرات الأدباء» للراغب الأصبهاني (١/ ٦٩٨).

(٢) « ديوان طَرَفَة بنِ العَبْدِ البَكْرِيِّ الوَائِلِيِّ» (ص٤٣). الزمِر: القليل.

مَنْ تَلْقَ مِنهُمْ تَقُلْ لاقَيْتُ سَيِّدَهُمْ ❋ مِثْلَ النُّجُومِ التي يَسْرِي بها السَّارِي[1]

وقَدْ يَسَّرَ اللهُ جَلَّوَعَلَا لي مُنذ (١٤١٩هـ) جمعَ ما يتعلَّقُ بالأنسَابِ ـ نَظَرِيًّا دُونَ البَحْثِ في القَبَائِلِ ـ ثُمَّ مَا يتعَلَّقُ بِأُسْرَتِي الكَبِيْرَةِ «الحمَادَىٰ»، ثُمَّ الفَرعِيَّةِ: أُسْرَةِ المدِيْهِش؛ فطُفْتُ لِأَجلِها كُتُبَ التُّرَاثِ، والمُعَاصِرِيْنَ، ومِنْهَا: المَخْطُوطَاتِ وَالمَطْبُوعَاتِ النَّجْدِيَّةِ = التَّارِيْخِيَّةِ وَالنَّسَبِيَّةِ والبُلْدَانِيَّةِ، وَمَا كُتِبَ فِي النَّسَبِ عَامَّةً...مَعَ مُسَاءَلةِ المُهتَمِّيْنَ، ثُمَّ اجْتِمَاعِ جُمْلَةٍ مِنَ الوَثَائِقِ الحَمَادِيَّة = الحَمَادَىٰ....

وَكَانَ مِنْ تَحَوُّلاتِ المَشْرُوْعِ: إِفْرَادُ الحَمَادَىٰ بِكِتَابٍ مُسْتَقِلٍّ ....!

---

(١) «عيون الأخبار» لابن قتيبة (١/ ٢٢٦)، «الكامل» للمبرد (١/ ١٠٦ـ١٠٧)، «الأمالي» للزجاجي ـ ط. الغرب ـ (٢/ ١٩١ـ١٩٢) ـ وعند المبرد والزجاجي القصيدة بتمامها ـ، «الأمالي» للقالي (١/ ٢٣٩)، «ديوان المعاني» لأبي هلال العسكري (١/ ٢٤)، وقال عَقِبه: (وهذا عندي أمدحُ شئ قيل في وصف جماعة).
وفي «الأمالي» أن هارون الرشيد قال لإسحاق بن إبراهيم الموصلي: أنشدني أحسن مدح تحفظه، فأنشده القصيدة ومنها الأبيات السابقة.

فَاسْتَعَنْتُ بِاللهِ جَلَّ وَعَلَا فِي كِتَابِ الحَمَادَىٰ وتَنْسِيقِهِ، تَسُوْسُهُ النِيَّةُ ـ وَاللهُ بِهَا عَلِيْمٌ ـ ويُسِنِدُهُ تَوْفِيْقُ اللهِ القَدِيْرِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ، فَقَدْ رَأَيْتُ أَثَرَهُ فِي كُلِّ حَرَكَةٍ وَسُكُوْنٍ، وَاللهُ المُهَيمِنُ عَلَىٰ الأُمُوْرِ، وَمَن يُرِدِ اللهُ لَهُ خَيْراً، فَلَا مَرَدَّ لَهُ ـ .

وَقَدْ عَنْوَنْتُهُ بِـ :

« أُسَرُ الحَمَادَىٰ ـ نَسَبُها، أُسَرُهَا، تَارِيخُهَا، بُلْدَانُها، أَعْلَامُهَا، مُؤَلَّفَاتُهَا، وَثَائِقُهَا، وَمَعَالِمُ أُخْرَىٰ ـ » يَسَّرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تَمَامَهُ .

وَبِمَا أَنَّ الكِتَابَ سَيُتَدَاوَلُ ـ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَىٰ ـ بَيْنَ الْمُهْتَمِّيْنَ بِالأُسَرِ النَّجْدِيَّةِ، وَلَا يَتَعَدَّاهَا إِلَىٰ غَيْرِهِمْ إِلَّا نَادِراً ، رَأَيْتُ أَهَمِيَّةَ إِفْرَادِ فَصْلٍ : « مُؤَلَّفَاتُهَا = التَّاجُ العِلْمِيُّ المُبَارَكُ لِلْحَمَادَىٰ» بِكِتَابٍ مُسْتَقِلٍّ مَعَ التَّوَسُّعِ فِيْهِ؛ اقْتَرَحْتُ ذَلِكَ فِي مَجْمَعٍ، فَبَادَرَ ابْنُ العَمِّ الْعَزِيْزِ الْغَالِي، د. عَلِيُّ بْنُ عَبْدِالعَزِيزِ بْنِ مُحَمَّدٍ الحُمُوْدِيُّ (مِنَ الحَمَادَىٰ) بِالتَّبَرُّعِ بِجَمْعِ هَذَا التَّاجِ «بِبْلُوجَرَافية»، وَهُوَ هُوَ مِنْ أَهْلِهِ وَخَاصَّتِهِ.[1]

---

(١) دكتور في علم المعلومات في جامعة الملك سعود في الرياض.

بَذَلَ د. عَلِيٌّ الحُمُودِيُّ ـ جَزَاهُ اللهُ خَيْرَ الجَزَاءِ وَأَوْفَاهُ ـ جُهْدَاً كَبِيْرَاً فِيْ المَكْتَبَاتِ وَالْمَوَاقِعِ المَحَلِّيَّةِ، زِيَادَةً عَلَىٰ اسْتِكْتَابِ أَبْنَاءِ وَبَنَاتِ الْعَمِّ جَمِيْعَـاً ، فَكَانَ مَا تَرَاهُ لَا مَا تَسْمَعُهُ، ..... وَهِيَ طَبْعَةٌ سَتَعْقُبُهَا طَبَعَاتٌ تَتَضَاعَفُ فِيْهَا الأَرْقَامُ ـ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَىٰ ـ .

أَقُوْلُ ـ ظَنًّـا يُقَارِبُ الْيَقِيْنَ ـ : إِنَّ هَذَا الْتَّأْلِيْفَ [١] لَمْ تُسْبَقِ الْحَمَادَىٰ إِلَيْهِ،[٢] لِأَنَّ جُهُوْدَ السَّابِقِيْنَ وَالمُعَاصِرِيْنَ فِي أَدِلَّةِ وَفَهَارِسِ الْكُتُبِ، عَلَىٰ أَنْحَاءٍ شَتَّىٰ :

١. فَهَارِسُ عَامَّةٍ عَنِ الْفُنُوْنِ، مِثْلُ: « الفِهْرِسْت» لابْنِ النَّدِيْمِ، وَ« كَشْفُ الظُّنُوْنِ» لِحَاجِيْ خَلِيْفَةَ، وَ« مِفْتَاحُ السَّعَادَةِ» لِطَاشْ كُبْرِي، وَ« أَبْجَدُ العُلُوْمِ» لِصِدِّيْق خَانْ، وَ « تَارِيْخُ الْتُّرَاثِ» لِسِزْكِيْن، وَ « تَارِيْخُ الْأَدَبِ» لِبُرُوْكِلْمَان، وَ « مُعْجَمُ الْمُوْضُوْعَاتِ المَطْرُوْقَةِ» لِلْحَبْشِيِّ.

٢. فَهَارِسُ عِلْمٍ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلُوْمِ، مِثْلُ: « التَّفْسِيْرُ» ط. مَجْمَعِ الْمَلِكِ فَهْدٍ، « الْحَدِيْثُ وَعُلُوْمُهُ» لِخَيْرِ رَمَضَانْ يُوْسُفْ، وَآخَرُ لِلْأَحْدَبِ، « الْعَقِيْدَةُ» د. مُحَمَّدُ الشَّايِعُ، « الْفِقْهُ» قَيْدَ الطِّبَاعَةِ لِلْشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ:

---

(١) « دليل النتاج العلمي للحمادىٰ» في جزأين ، من تأليف ابن العم د. علي بن عبدالعزيز الحمودي (آخر سنة ١٤٤١هـ وأول ١٤٤٢هـ).

(٢) ثم جاء بعدهم علىٰ منوالهم : « الإنتاج العلمي لأسرة التويجري ــ ماجستير ، ودكتوراه ــ » الجزء الأول (٦٢ صفحة) ـ إعداد د. عبدالله بن غدير بن عبدالله التويجري في « المدينة النبوية» (١١/ ١٤٤٢هـ)، ثم ظهر بعد ذلك الجزء الثاني.

عَبْدِالْعَزِيْزِ بْنِ قَاسِمٍ ، « الْسِّيْرَةُ الْنَّبَوِيَّةُ» لِجَمَاعَةٍ بِإِشْرَافِ د. مُحَمَّدْ يُسْرِي ، « الحِسْبَةُ» لِلْشَّيْخِ: بَسَّامِ الْيُوسُفْ، « الْلُّغَةُ» لِخَيْرِ رَمَضَانْ يُوْسُفُ، « الْمَعَاجِمُ الْلُّغَوِيَّةُ» لِشَرْقَاوِي، « كُتُبُ النَّسَبِ الحَدِيْثَةُ» لِلْشَّرَافِي، « مُعْجَمُ كُتُبِ السِّيَرِ الذَّاتِيَّةِ» لِلْحَمَدْ، وَغَيْرُهَا كَثِيْرٌ .

٣. فَهَارِسُ مُؤَلَّفَاتِ مَوْضُوْعٍ أَوْ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْعِلْمِ، وَهَذَا كَثِيْرٌ مُفْرَدٌ أَوْ مُضَمَّنٌ دَاخِلَ دِرَاسَةٍ.

٤. فَهَارِسُ مُؤَلَّفَاتِ مَذْهَبٍ مِنَ الْمَذَاهِبِ: مِثْلُ: « مُصَنَّفَاتُ الحَنَابِلَةِ» لِـ أ.د. عَبْدِاللَّهِ الطَّرِيْقِي، وَ « مُعْجَمُ تُرَاثِ الْفِقْهِ الْشَّافِعِيِّ» لِعُمَرَ بْنِ مُصْطَفَى بْنِ أَحْمَدَ، وَغَيْرِها.

٥. فَهَارِسُ مُؤَلَّفَاتِ عَلَمٍ مِنَ الأَعْلَامِ: الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ، ابْنُ تَيْمِيَّةَ، ابْنُ القَيِّمِ، الدَّانِيُّ، الغَزَالِيُّ، البِقَاعِيُّ، السُّيُوْطِيُّ، السَّخَاوِيُّ، مُلَّا قَارِي، وَغَيْرُهَا كَثِيْرٌ .

٦. فَهَارِسُ مُؤَلَّفَاتٍ عَنْ كِتَابٍ مُعَيَّنٍ، مِثْلُ: « دَلِيْلُ الْأَعْمَالِ وَالْدِّرَاسَاتِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِتَفْسِيْرِ ابْنِ جَرِيْرٍ الْطَّبَرِيِّ»، « دَلِيْلُ الْأَعْمَالِ وَالْدِّرَاسَاتِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِتَفْسِيْرِ ابْنِ كَثِيْرٍ» كِلَاهُمَا تَأْلِيْفُ: مَعْهَدِ الْشَّاطِبِيِّ، « عِنَايَةُ الْعُلَمَاءِ بِكِتَابِ الْتَّوْحِيْدِ لِلْشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِالْوَهَّابِ» لِـلْأُسْتَاذِ: عَبْدِالإِلَهِ الْشَّايِع.

٧. **فَهَارِسُ مُؤَلَّفَاتِ بَلَدٍ أَوْ مَدِيْنَةٍ**، مِثْلُ: بَبْلُوْغَرَافِيَّا الفِلِسْطِيْنِيِّيْن، «مُؤَلَّفَاتِ أَهْلِ القَصِيْمِ» ـ قَيْدَ الإِعْدَادِ ـ لِلأُسْتَاذِ: عَبْدِاللَّـهِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْمَرْزُوْقِ.

٨. **فَهَارِسُ مُؤَلَّفَاتٍ عَنْ بَلَدٍ أَوْ مَدِيْنَةٍ**، مِثْلُ: «الْكُتُبُ الْبُلْدَانِيَّةِ عَنْ الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْسُّعُوْدِيَّةِ» لِلأُسْتَاذَيْنِ: مُحَمَّدْ مُعَبِّر، وَمَسْعُوْدِ المَسْرَدِيِّ، «بِبْلُوْجَرَافِيَّةُ الْبُكَيْرِيَّةِ» لِعَبْدِالْعَزِيْزِ الْسُّوَيْلِمْ، «بِبْلُوْجَرَافِيَّةُ الْجَوْفِ» لِمُحَمَّدِ بْنِ حُلْوَانِ الْشَّرَارِيِّ.

٩. **فَهَارِسُ مُؤَلَّفَاتِ أُسْرَةٍ مِنَ الأُسَرِ**، هَذَا لَا أَعْلَمُهُ مِنْ قَبْلُ مَنْشُوْرَاً، لَا أَعْلَمُ أُسْرَةً وَاحِدَةً، وَلَا فَخِذَاً مِنْ أَفْخَاذِ الْقَبَائِلِ أَخْرَجَتْ دَلِيْلاً لِنِتَاجِهَا العِلْمِيِّ وَنَشَرَتْهُ لِلْنَّاسِ، **فَالأَوَّلِيَّةُ هُنَا لِلْحَمَادَىٰ**، ـ وَللهِ الْحَمْدُ وَالْفَضْلُ وَالْمِنَّةُ ـ .

فوائد إخراج دليل النتاج العلمي للأسرة :

١. التَّعَبُّدُ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالدِّلَالَةِ عَلَىٰ الْعِلْمِ.

٢. الْبِرُّ بِالأَمْوَاتِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ مِنَ الآبَاءِ، وَالأَجْدَادِ .

٣. وَصْلُ خَصَائِصِ الْأَجْدَادِ بِخَصَائِصِ الْأَحْفَادِ، وَإِنَّهَا لَصِلَةٌ مَرْعِيَّةُ الْأَنْسَابِ، مَبْرُوْرَةُ الْعُهُوْدِ، مُحْكَمَةُ الْوَثَائِقِ؛ لِيَحْصُلَ بَيْنَهُمَا مَا يَكُوْنُ مِنْ الْتِقَاءِ الْسَّالِبِ بِالْمُوْجَبِ فِيْ الْقَوَانِيْنِ الْكَهْرَبَائِيَّةِ: حَرَكَةٌ، وَضَوْءٌ، وَحَرَارَةٌ .[١]، « وَأَحَقُّ الْنَّاسِ بِالْمَعَالِيْ مَنْ كَانَ فِيْهَا عَرِيْقَـًا، وَلَايَكُوْنُ الْمَرْءُ خَلِيْقَـًا بِهَا إِلَّا إِذَا كَانَ أَبُوْهُ بِهَا خَلِيْقَـًا؛ وَإِذَا زَكَتْ أُصُوْلُ الْشَّجَرِ؛ زَكَتْ فُرُوْعُهُ، وَلَا يَعْذُبُ مَذَاقُ الْمَاءِ إِلَّا إِذَا طَابَ يَنْبُوْعُهُ ».[٢]

٤. الْأَنَفَةُ لِلْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ وَالْأَعْمَامِ = لِلْحَمَادَىٰ مِنْ تَهَضُّمٍ أَوْ خُمُوْلٍ.[٣]

---

(١) اقتباس من « آثار البشير الإبراهيمي» (٢/ ١٥٣) و (٤/ ١٠٣).

(٢) « الوشي المرقوم» للضياء ابن الأثير (ص٢٤٠).

(٣) انظر في المعنىٰ: « أدب الدنيا والدين» للماوَرْدي (ص٢٤٤ـ٢٤٥).

٥. صِلَةُ الأَرْحَامِ، وَمَا أَعْظَمَهَا مِنْ صِلَةٍ أَنْ يُنْشَرَ دَلِيْلُ لِنِتَاجِ الأَجْدَاد، وَالأَعْمَامِ وَأَوْلَادِهِمْ رِجَالاً وَنِسَاءً .

٦. تَقْوِيَةُ أَوَاصِرِ القُرْبَىٰ بَيْنَ الحَمَادَىٰ: القُرْبَىٰ النَّسَبِيَّةِ وَالعِلْمِيَّةِ، فَالعِلْمُ رَحِمٌ بَيْنَ أَهْلِهِ.

٧. نَشْرُ = تَسْوِيْقُ النِّتَاجِ العِلْمِيِّ.

٨. إِظْهَارُ التَّنَوُّعِ العِلْمِيِّ وَالمَعْرِفِيِّ عِنْدَ الحَمَادَىٰ.

٩. تَحْفِيزُ النَّاشِئَةِ مِنْ أَبْنَائِنَا وَبَنَاتِنَا، لِلْعَمَلِ العِلْمِيِّ المُثْمِرِ.

١٠. دُخُولُ أُسْرَتِنَا الكَبِيْرَةِ « الحَمَادَىٰ» ضِمْنَ الأُسَرِ العِلْمِيَّةِ، وَتَحْفِيْزُهَا لِإِنْشَاءِ مَرْكَزٍ عِلْمِيٍّ بِاسْمِهَا. (١)

١١. الدِّرَاسَاتُ العِلْمِيَّةُ حَوْلَ النِّتَاجِ.

١٢. لَا أَقُوْلُ بِأَنَّ هَذَا النِّتَاجَ العِلْمِيَّ لِلْحَمَادَى سَيَكُوْنُ مِنَ التَّارِيْخِ بِالنِّسْبَةِ لِأَحْفَادِنَا، بَلْ دَخَلَ التَّارِيْخَ الآنَ لَحْظَةَ صُدُوْرِهِ قَبْلَ أَنْ تَقْرَأَهُ، فَالتَّارِيْخُ لِأَيِّ أُسْرَةٍ = عَشِيْرَةٍ = أُمَّةٍ ، جُزْءٌ مِنْ مَرَاقِيْهَا، « وَالمَرْءُ لَا يَكُوْنُ

---

(١) لي مَقالٌ بعُنوان: « أَيْنَ مَرَاكِزُ الأُسَرِ العِلْمِيَّةِ ؟! » نُشِر في « صحيفة الجزيرة» = « المجلة الثقافية» عدد (٤٣١) بتاريخ (٧/ جمادى الأولى/ ١٤٣٥هـ) .

كَيِّسًا حَسَّاسًا إِذَا أَغْمَضَ عَيْنَيْهِ عَنْ مَاضِيْهِ، وَعَنْ مُسْتَقْبَلِهِ، فَالْوَاجِبُ أَنْ يَبْحَثَ لِلْوُصُوْلِ إِلَى مَا يَقِفُهُ عَلَى الصِّلاتِ الَّتِيْ تَرْبِطُهُ بِأَجْدَادِهِ، وَذُرِّيَّتِهِ، وَبِالْإِنْسَانِيَّةِ أَمْسِ، وَبِالْإِنْسَانِيَّةِ غَدًا، فَالْمَاضِيْ يُفَسِّرُ الْحَاضِرَ، وَهَذَا يَشْرَحُ الْغَابِرَ، كَمَا قَالَ الْعَارِفُوْنَ ».[1] « وَمِنَ الْسُّنَنِ الْكَوْنِيَّةِ الْمُقَرَّرَةِ فِيْ سُقُوْطِ الْأُمَمِ وَعَدَمِ امْتِدَادِ الْعِزَّةِ وَالْرُّقِيِّ فِيْهَا: أَنْ يَنْسَى آخِرُهَا مَآثِرَ أَوَّلِهَا؛ فَيَنْقَطِعَ التَّيَّارُ الْدَّافِعُ؛ فَيَتَعَطَّلَ التَّقَدُّمُ ».[2]

١٣. الْمُسَاهَمَةُ فِيْ إِبْرَازِ جُزْءٍ مِنْ الْحَيَاةِ الْعِلْمِيَّةِ فِيْ بلادنا الغالية « الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْسُّعُوْدِيَّةِ ».

١٤. إِبْرَازُ شَيْءٍ مِنَ النِّتَاجِ الْعِلْمِيِّ لِمَنْطِقَةِ الْقَصِيْمِ، فَيَدْخُلُ هَذَا « دَلِيْلُ النِّتَاجِ الْعِلْمِيِّ لِلْحَمَادَىٰ» فِيْ: « مُؤَلَّفَاتِ أَهْلِ الْقَصِيْمِ» لِلْمَرْزُوْقِ، وَمَنْ سَيَكْتُبُ عَنْ الْحَيَاةِ الْعِلْمِيَّةِ فِيْ : بُرَيْدَةَ، وَالْبُكَيْرِيَّةَ، وَالْشِّقَّةِ، وَالْبُصْرَ، وَالْبَدَائِعَ، وَالْخَبْرَاءَ، وَغَيْرِهَا.

١٥. سَيَكُوْنُ هَذَا الدَّلِيْلُ بَاعِثًا قَوِيًّا لِطِبَاعَةِ مَالَمْ يُطْبَعْ تِجَارِيًّا، أَوْ

(١) « أقوالنا وأفعالنا» لكُرْد علي (ت ١٣٧٢هـ) (ص ٢٣٤) .

(٢) « آثار البشير الإبراهيمي الجزائري» (ت ١٣٨٥هـ) (٤/ ٣٠٩).

نَشْرِهِ تِقَنِيًّا، فَالْدَلِيْلُ تَحْرِيْكٌ لِمُؤَلَّفَاتٍ حَبِيْسَةٍ، الْمُسْتَفِيْدُ الْأَوَّلُ مِنْ نَشْرِهَا: صَاحِبُهَا مَيْتًا كَانَ، أَوْ حَيًّا.

١٦. نَشْرُ مَحَاسِنِ وَمَآثِرِ أُسْرَتِنَا الْكَبِيْرَةِ «الْحَمَادَىٰ»، فَإِنَّ الْمَآثِرَ تُؤْتِي ثِمَارَهَا إِذَا غَادَرَتِ الْخَوَاصَّ، وَتَدَاوَلَهَا عَامَّةُ النَّاسِ. قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ (ت ٢٧٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَنْ قَبِيْلَةٍ لَيْسَ فِيْهَا شُعَرَاءُ: (صَارَتْ مَآثِرُهُمْ عِنْدَ خَوَاصِّ النَّاسِ دُوْنَ عَامَّتِهِمْ، وَالشَّرَفُ وَالسُّؤْدَدُ مَعَ سَوَادِ النَّاسِ وَدَهْمَائِهِمْ).[1]

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ ـ أَيْضًا ـ: (وَكَانَ الْقَبِيْلُ مِنَ الْعَرَبِ إِذَا نَشَأَ فِيْهِمْ غُلَامٌ فَقَالَ شَيْئًا مِنَ الشِّعْرِ، أَوْ رَجَزَ فِي حِدَاءِ بَعِيْرٍ، أَوْ مَتَحَ بِدَلْوٍ؛ سُرَّ بِهِ قَوْمُهُ، وَاسْتَبْشَرَتْ عَشِيْرَتُهُ، وَقَدَّمُوْهُ وَعَظَّمُوْهُ، وَرَشَّحُوْهُ لِلْمُنَافَحَةِ عَنْهُمْ، وَالدَّفْعِ عَنْ أَعْرَاضِهِمْ، وَأَتَاهُ الْأَقَارِبُ، وَالْمُجَاوِرُوْنَ).[2]

قَالَ الْمُظَفَّرُ الْعَلَوِيِّ (ت ٦٥٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلَقَدْ كَانَتْ الْعَرَبُ تَعُدُّ الشِّعْرَ خَطِيْرًا، وَتَرَىٰ الشَّاعِرَ أَمِيْرًا، فَإِذَا نَبَغَ فِيْ الْقَبِيْلَةِ شَاعِرٌ هُنِّئَتْ بِهِ،

---

(١) «فضل العرب والتنبيه علىٰ علومها» لابن قتيبة (ص ١٥٣).

(٢) «فضل العرب» (ص١٧٥).

وَحُسِدَتْ مِنْ سَبَبِهِ، لِأَنَّهُ يُنَافِحُ عَنْ أَنْسَابِهَا، وَيُكَافِحُ وَيُنَاضِلُ عَنْ أَحْسَابِهَا). [(١)]

كَذَلِكَ كَانَتْ الْعَشِيْرَةُ مِنَ الْعَرَبِ تَفْخَرُ بِصُدُوْرِ عَمَلٍ مِنْ فَرْدٍ وَاحِدٍ فِيْهَا، وَتَنْسِبُ الْمَأْثَرَةَ إِلَيْهَا كُلِّهَا، وَتَفْتَخِرُ بِهِ وَتُفَاخِرُ، « وَالْشَّرَفُ يَحْصُلُ لِلْشَّيءِ إِذَا حَصَلَ لِبَعْضِهِ » [(٢)]، وَ « شَرَفُ الْقَبِيْلَةِ بِشَرَفِ بَعْضِ أَفْرَادِهَا ». [(٣)]

قَالَ الجَاحِظُ (ت ٢٥٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: « ...تُمْدَحُ الْقَبِيْلَةُ بِفِعْلٍ جَمِيْلٍ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ إِلَّا بِوَاحِدٍ مِنْهَا ». [(٤)]

قَالَ الْشَّرِيْفُ الْمُرْتَضَى (ت ٤٣٦ هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ : (... فَعَلَى عَادَةِ الْعَرَبِ فِيْ خِطَابِ الْأَبْنَاءِ بِخِطَابِ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ، وَخِطَابِ الْعَشِيْرَةِ بِمَا

---

(١) « نَضْرةُ الإغرِيض» (ص ٢٩٨).

قلتُ: أما في زماننا، فلم يَعُدِ الشِّعْرُ كما كان للقبائل والعشَائر سابقـًا، وأصبح وُجُودُ: عـالِمٍ مُتخصصٍ يجمعُ تاريخَها ونسبَها وأعلامَها وأخبارَها ووثائقَها ومؤلَّفاتِها ومقَالاتِها...، أبلغُ أثَرَاً وأكثرُ نفعـًا، مع فائدة الشِّعر بلا شَك ولا رَيْب.

(٢) قاله ابن حجر في « فتح الباري» (٦/ ٥٤٣).

(٣) « التنوير شرح الجامع الصغير» للصنعاني (٧/ ٥٠٢).

(٤) « البخلاء» (ص ٢٣٤) .

يَكُوْنُ مِنْ أَحَدِهَا؛ فَيَقُوْلُ أَحَدُهُمْ: فَعَلَتْ بَنُو تَمِيْمٍ كَذَا، وَقَتَلَ بَنُو فُلَانٍ فُلَانًا؛ وَإِنْ كَانَ الْقَاتِلُ وَالْفَاعِلُ وَاحِدًا مِنْ بَيْنِ الْجَمَاعَةِ...). [(١)]

قَالَ ابْنُ جَرِيْرِ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالْعَرَبُ قَدْ تُخْرِجُ الْخَبَرَ إِذَا افْتَخَرَتْ مَخْرَجَ الْخَبَرِ عَنِ الْجَمَاعَةِ، وَإِنْ كَانَ مَا افْتَخَرَتْ بِهِ مِنْ فِعْلِ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، فَتَقُوْلُ: نَحْنُ الْأَجْوَادُ الْكِرَامُ، وَإِنَّمَا الْجَوَادُ فِيْهِمْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَغَيْرُ الْمُتَكَلِّمِ الْفَاعِلُ ذَلِكَ). [(٢)]

وَسَبَبُ ذَلِكَ: أَنَّ مَقَامَ الْافْتِخَارِ مَقَامُ تَكَثُّرٍ، فَانْتَحَلَتِ الْجَمَاعَةُ فِعْلَ الْوَاحِدِ مِنْهُمْ، وَنَسَبُوهُ إِلَيْهِمْ؛ بِنَاءً عَلَىٰ أَنَّ شَرَفَهُ وَمَحَاسِنَهُ عَائِدَةٌ عَلَىٰ عَشِيْرَتِهِ أَوْ قَبِيْلَتِهِ. [(٣)]

هَذَا فِي الرَّجُلِ الْوَاحِدِ الَّذِي قَدَّمَ خَيْرًا يُشَرِّفُ عَشِيْرَتَهُ، فَمَا بَالُكَ

---

(١) «أمالي المرتضىٰ = غرر الفوائد» (٢/ ٢٢٤).

(٢) «جامع البيان» لابن جرير (٨/ ٢٧٠). وانظر: (١٠/ ٦٣١)، و(١/ ٥٣٤).

(٣) «قواعد التفسير» للشيخ د. خالد السبت (١/ ٣١٥)، وانظر: «الأساليب العربية الواردة في القرآن الكريم وأثرها في التفسير من خلال جامع البيان للطبري» للشيخ: فواز الشاووش (ص ٦٨١ ـ ٦٨٥).

بِهَذِهِ الْأَعْدَادِ الْغَفِيْرَةِ مِنْ الْحَمَادَىٰ رِجَالاً وَنِسَاءً، قَدَّمُوْا هَذِهِ الْمُؤَلَّفَاتِ وَالْبُحُوْثَ فِيْ شَتَّىٰ الْمَجَالَاتِ ؟!

وَكَيْفَ إِذَا أَضَفْتَ إِلَيْهِمْ غَيْرَهَمْ مِمَّنْ عَمِلَ أَعْمَالاً مُشَرِّفَةً فِيْ نُصْرَةِ دِيْنِهِ، وَوَطَنِهِ، وَوُلَاةِ أَمْرِهِ، وَهُمْ عَدَدٌ جَمٌّ غَفِيْرٌ ؟!

وَمَا زِلْتَ تَسْمُوْ لِلْمَكَارِمِ وَالْعُلَىٰ * وَتَعْمُرُ عِزّاً مُسْتَنِيْرَ الْمَوَارِدِ
إِذَا عُدَّ أَيَامُ الْمَكَارِمِ فَافْتَخِرْ * بِآبَائِكَ الْشُمِّ الْطِّوَالِ الْسَّوَاعِدِ

قَالَ أَبُوْ عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ (ت ٢٠٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (قَوْلُهُ: الْشُمُّ الْطِوَالُ: الْمُرْتَفِعَةُ، وَهَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ لِلْشَّرَفِ وَالْكَرَمِ، أَيْ: أَنَّ حَسَبَهُمْ لَا يَبْلُغُهُ مَنْ يُفَاخِرُهُ).[(١)]

وَاعْلَمْ يَابْنَ الْعَمِّ ــ أَعَزَّكَ اللهُ بِدِيْنِهِ ــ أَنَّ مَآثِرَ الْآبَاءِ مَآثِرُ لِلْأَبْنَاءِ، وَالْعَكْسُ كَذَلِكَ، فَتَصِحُّ نِسْبَةُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِلآخَرِ، قَالَ ابْنُ جَرِيْرِ الطَّبَرِيُّ (ت٣١٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يَعْنِي بِقَوْلِهِ: ﴿ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ ﴾ (البقرة، آية ٤٧) أَنِّيْ فَضَّلْتُ أَسْلَافَكُمْ، فَنَسَبَ نِعَمَهُ عَلَى آبَائِهِمْ وَأَسْلَافِهِمْ إِلَى

(١) « شرح نقائض جرير والفرزدق» لأبي عبيدة معمر بن المثنىٰ (٣/ ١٠٦٧)، والبيتان لجرير « ديوانه» (٢/ ٦٠٥).

أَنَّهَا نِعَمٌ مِنْهُ عَلَيْهِمْ؛ إِذْ كَانَتْ مَآثِرُ الْآبَاءِ مَآثِرَ لِلأَبْنَاءِ، وَالنِّعَمُ عِنْدَ الْآبَاءِ نِعَمًا عِنْدَ الْأَبْنَاءِ، لِكَوْنِ الْأَبْنَاءِ مِنَ الْآبَاءِ). [(١)]

قَالَ عَلِيُّ الْجُرْجَانِيُّ (ت ٣٩٢هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ : (شَرَفُ الْوَالِدِ جُزْءٌ مِنْ مِيْرَاثِهِ، مُنْتَقِلٌ إِلَى وَلَدِهِ كَانْتِقَالِ مَالِهِ؛ فَإِنْ رُوْعِيَ وَحُرِسَ؛ ثَبَتَ وَازْدَادَ، وَإِنْ أُهْمِلَ وَأُضِيْعَ؛ هَلَكَ وَ بَادَ.

وَكَذَلِكَ شَرَفُ الْوَلَدِ يَعُمُّ الْقَبِيْلَةَ، وَلِلْوَالِدِ مِنْهُ الْقِسْمُ الْأَوْفَرُ...). [(٢)]

وَذَكَرَ الْوَاحِدِيُّ (ت ٤٦٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ فِي تَفْضِيْلِ الآبَاءِ شَرَفًا لِلأَبْنَاءِ. [(٣)]

قَالَ الرَّاغِبُ الْأَصْبَهَانِيُّ (ت ٥٠٢هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ : (وَذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَرِثُ مِنْ أَبَوَيْهِ آثَارَ مَا هُمَا عَلَيْهِ مِنْ جَمِيْلِ السِّيْرَةِ وَالْخُلُقِ وَقَبِيْحِهِمَا، كَمَا يَرِثُ مُشَابَهَتَهُمَا فِيْ خَلْقِهِمَا ، وَلِهَذَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ (سورة الكهف، آية٨٢) ، وَعَلَىٰ نَحْوِهِ رُوِيَ أَنَّهُ قَالَ فِيْ التَّوْرَاةِ :

---

(١) « جامع البيان» لابن جرير (١/ ٦٢٩).

(٢) « الوساطه بين المتنبي وخصومه» (ص٣٧٣)، وعنه: ابن رشيق في « العمدة» (٢/ ٨٢٧).

(٣) « التفسير الوسيط» (١/ ١٣٣).

« إِنِّي إِذَا رَضِيتُ بَارَكْتُ وَإِنَّ بَرَكَتِيْ لَتَبْلُغُ الْبَطْنَ السَّابِعَ، وَإِذَا سَخِطْتُّ لَعَنْتُ وإِنَّ لَعْنَتِيْ لَتَبْلُغُ الْبَطْنَ السَّابِعَ » ؛ تَنْبِيْهًا عَلَىٰ أَنَّ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ الَّذِيْ يَكْسَبُهُ الْإِنْسَانُ وَيَتَخَلَّقَ بِهِ؛ يَبْقَىٰ أَثَرُهُ مَوْرُوْثًا إِلَىٰ الْبَطْنِ السَّابِعِ).[١]

فَقَدْ يَكُوْنُ شَرَفُ الْقَبِيْلَةِ/ الْأُسْرَةِ/ الْبَلْدَةِ/ بِشَرَفِ رَجُلٍ مِنْهَا؛ رَفَعَ ذِكْرَهَا بِالْخَيْرِ، فَأَصْبَحَ شَرَفُه = عَمَلُهُ الطَّيِّبُ نَسَبًا لِعَقِبِهِ وَأُسْرَتِهِ وَقَبِيْلَتِهِ وَبَلْدَتِهِ. قَالَ أَعْرَابِيٌّ: (مُرُوْءَةُ الرَّجُلِ فِيْ نَفْسِهِ نَسَبٌ لِقَوْمٍ آخَرِيْنَ، فَإِنَّهُ إِذَا فَعَلَ الْخَيْرَ؛ عُرِفَ لَهُ، وَبَقِيَ فِيْ الْأَعْقَابِ وَالْأَصْحَابِ، وَلَقِيَهُ يَوْمَ الْحِسَابِ).[٢] وَنُسِبَ لِجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ قَوْلُهُ: (مُرُوْءَةُ الرَّجُلِ فِيْ نَفْسِهِ نَسَبٌ لِعَقِبِهِ وَقَبِيْلَتِهِ).[٣]

فَالْخَيْرُ الْمُمَيَّزُ الْكَبِيْرُ الَّذِيْ يَعْمَلُهُ الْإِنْسَانُ؛ يَكُوْنُ نَسَبًا لِأَحْفَادِهِ وَعَشِيْرَتِهِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَنْتُمْ أَحْفَادُ الْعَالِمِ الْفُلَانِيِّ، أَوْ الْكَرِيْمِ الْفُلَانِيِّ، أَوْ التَّاجِرِ الْمُحْسِنِ الْفُلَانِيِّ، أَوْ الْأَمِيْرِ الصَّالِحِ الْفُلَانِيِّ، أَوْ مِنْ أُسْرَتِكُم

---

(١) « تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين» ط. دار النفائس (ص ٩١) .

(٢) « البصائر والذخائر» للتوحيدي (١/ ١١٥).

(٣) « نثر الدر» للآبي (١/ ٢٤٧) .

وَعَشِيْرَتِكِمْ وَبَلْدَتِكُمْ الْعَالِمُ الْفُلَانِيِّ، أَوْ الْمُحْسِنُ الْفُلَانِيِّ؛ فَأَصْبَحَ تَمَيُّزُهُ نَسَبًا لِعَشِيْرَتِهِ، وَلِأَهْلِ بَلْدَتِهِ.

إنَّ شُهْرَةَ الْأَجْدَادِ تَبْرُزُ فِيْ نَسَبِ الْأَحْفَادِ، قَالَ الزَّبِيْدِيُّ (ت ١٢٠٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كَثِيْراً مَا يُنْسَبُ الرَّجُلُ إِلَىٰ جَدِّهِ؛ لِكَوْنِهِ أَشْهَرَ، أَوْ أَفْخَرَ، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَغْرَاضِ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عَبْدِالْمُطَّلِبْ»)[١].

مِثَالُهُ: الْإِمَامُ الْحَافِظُ أَبُوْ الْقَاسِمِ ابْنِ مَنِيْعِ الْبَغَوِيِّ (ت ٣١٧هـ)، صَاحِبُ «مُعْجَمِ الصَّحَابَةِ» مَنِيْعٌ نِسْبَةً إِلَىٰ جَدِّهِ لِأُمِّهِ: أَحْمَدِ بْنِ مَنِيْعٍ، صَاحِبِ «الْمُسْنَدِ».[٢]

---

(١) «تاج العروس» (١/ ٢٤٤).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٤٤٠).

قولُ الزَّبِيدي ونسَبُ ابن منيع استفدتهما من بحث: «النِّسْبَةِ إلىٰ الجَدِّ وأثرُها علىٰ الرواة والمَرويات» (ص ٨٨) أ.د. يحيىٰ البكري الشهري، نُشِرَ في مجلة جامعة أم القرىٰ، مجلد (١٥)، عدد (٢٧)، جمادىٰ الثانية (١٤٢٤هـ).

أيها المؤمنون:

مَنْ اسْتَقَامَ عَلَىٰ طَاعَةِ رَبِّه عَزَّوَجَلَّ، وَأَحْسَنَ فِيْ الْخَيْرِ، وَأَحْسَنَ إِلَىٰ عِبَادِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ ضَمَّ مَآثِرَ أَجْدَادِهِ التَّلِيْدَةِ إِلَىٰ مَآثِرِهِ الْطَارِفَةِ الْحَمِيْدَةِ .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: « تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ، فَخِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقِهُوا... ».[(١)]

قَالَ النَّوَوِيُّ (ت ٦٧٦هـ) رَحِمَهُٱللَّهُ : (الْمَعَادِنُ: الْأُصُوْلُ. وَإِذَا كَانَتْ الأُصُوْلُ شَرِيْفَةً؛ كَانَتْ الْفُرُوْعُ كَذَلِكَ غَالِبًا.

وَالْفَضِيْلَةُ فِيْ الْإِسْلَامِ بِالْتَّقْوَى، لَكِنْ إِذَا انْضَمَّ إِلَيْهَا شَرَفُ الْنَّسَبِ؛ ازْدَادَتْ فَضْلاً).[(٢)]

قَالَ الْخَطَّابِيُّ (ت ٣٨٨هـ) رَحِمَهُٱللَّهُ : (مَنْ كَانَتْ لَهُ مَأْثَرَةٌ وَشَرَفٌ فِيْ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَسْلَمَ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ وَفَقِهَ فِيْ الْدِّيْنِ؛ فَقَدْ أَحْرَزَ مَأْثَرَتَهُ

---

(١) « صحيح البخاري» (٣٣٨٣) و (٣٤٩٣)، و « صحيح مسلم» (٢٥٢٦).

(٢) « شرح النووي علىٰ مسلم» (١٦/ ٧٨) .

الْقَدِيْمَةَ وَشَرَفَهُ التَّلِيْدَ إِلَىٰ مَا اسْتَفَادَهُ مِنَ الْمَزِيْدِ بِحَقِّ الدِّيْنِ، وَمَنْ لَمْ يُسْلِمْ؛ فَقَدْ هَدَمَ شَرَفَهُ وَضَيَّعَ قَدِيْمَهُ).[١]

قَالَ الْقَاضِيْ عِيَاضٌ (ت ٥٤٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (أَصْلُ الْمَعَادِنِ: الْأُصُوْلُ الشَّرِيْفَةُ تُعْقِبُ أَمْثَالَهَا وَيَسْرِي كَرَمُ أَخْلَاقِهَا إِلَىٰ نَسْلِهَا، وَلَكِنْ لَا خِيَارَ فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا بِالتُّقَىٰ وَالْفِقْهِ، وَلَا فَضِيْلَةَ إِلَّا بِخِصَالِ الشَّرِيْعَةِ، لَكِنْ مَنِ اتَّفَقَ لَهُ ذَلِكَ مَعَ أَصْلٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ حَمِيْدِ الْأَخْلَاقِ شَرِيْفِ الطِّبَاعِ ـ وَهُوَ الْحَسَبُ ـ؛ كَمُلَتْ فَضِيْلَتُهُ، وَبَانَتْ مَرْتَبَتُهُ).[٢]

قَالَ ابْنُ هُبَيْرَةَ (ت ٥٦٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (شَبَّهَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ بِالْمَعَادِنِ؛ لِأَنَّ الْمَعَادِنَ مِنْهَا مَا يُنْبِتُ الذَّهَبَ، وَمِنْهَا مَا يُنْبِتُ النُّحَاسَ، فَالنَّاسُ يَخْتَلِفُوْنَ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُوْنَ صَالِحًا، وَيَكُوْنُ مَا يَدْرُوْنَهُ فِيْ الْغَالِبِ عَلَىٰ جِنْسِهِمْ، فَإِذَا بَدَرَ مَنْ لَا يُشَاكِلُهُمْ؛ اسْتَنْكَرُوْهُ،

---

(١) « أعلام الحديث» (٣/ ١٥٧٨).

(٢) « إكمال المُعْلِم» (٧/ ٥٦٣)، وانظر: « شرح مسند الشافعي» للرافعي (٣/ ٤٢٨)، « المفهم» للقرطبي (٦/ ٢٢٧).

فَلِـذَلِكَ قَـالَ: ﴿ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴾ (سورة مريم، آية ٢٥) [(١)]

فَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ هَـذَا يَقَعُ فِيْ الْأَكْثَرِ، وَقَدْ نَدَرَ أَنْ يَأْتِيَ الْخَبِيْثُ مِنَ الطَّيِّبِ، وَيَأْتِيَ الطَّيِّبُ مِنَ الْخَبِيْثِ). [(٢)]

قَالَ ابْنُ دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ (ت ٦٣٣هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (... فَالْنَّسَبُ مِنْ جُمْلَةِ الْأَحْوَالِ الَّتِيْ يَكُوْنُ بِهَا الْكَمَالُ، وَطِيْبُ الْأَعْرَاقِ مُؤْذِنٌ بِكَرَمِ الْأَخْلَاقِ، فَإِذَا اجْتَمَعَ إِلَىٰ فَضْلِ الْذَّاتِ فَضْلُ الْمُقَدِّمَاتِ؛ كَمُلَتْ الْحَالَاتُ...).[(٣)]

قَالَ الْطِّيْبِيُّ (ت ٧٤٣هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (فَالْتَّفَاوُتُ فِيْ الْجَاهِلِيَّةِ بِحَسَبِ الْأَنْسَابِ، وَشَرَفِ الآبَاءِ، وَكَرَمِ الْأَصْلِ؛ وَفِيْ الإِسْلَامِ بِحَسَبِ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ، فَالْشَّرَفُ الْأَوَّلُ مَوْرُوْثٌ، وَالثَّانِيْ مُكْتَسَبٌ). **وقال**: (إِذَا تَحَلَّىٰ الرَّجُلُ بِالْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ؛ اسْتَجْلَبَ الْنَّسَبَ الْأَصْلِيَّ، فَيَجْتَمِعُ شَرَفُ الْنَّسَبِ مَعَ شَرَفِ الْحَسَبِ، انْظُرْ إِلَىٰ الْمَنْقَبَةِ الْسَّنِيَّةِ كَيْفَ رَدَّ تَيَمُّنَهَا وَبَرَكَتَهَا

---

(١) انظر ما سيأتي (ص٨٦ ـ ٨٨).

(٢) « الإفصاح عن معاني الصحاح» (٦/ ٦٨).

(٣) « التنوير في مولد السراج المنير والبشير النذير» (ص ١٣٣).

مَا رَفَعَهُ الْإِسْلَامُ مِنَ الْشَّرَفِ الْمَوْرُوثِ؟!

وفُهِمَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْوَضِيْعَ الْمُسْلِمَ الْمُتَحَلِّي بِالْعِلْمِ أَرْفَعُ مَنْزِلَةً مِنَ الْشَّرِيْفِ الْمُسْلِمِ الْعَاطِلِ...).(١)

قَالَ ابْنُ عُثَيْمِيْنَ (ت ١٤٢١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (... فَفِيْ هَذَا دَلِيْلٌ عَلَىٰ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَشْرُفُ بِنَسَبِهِ، لَكِنْ بِشَرْطِ أَنْ يَكُوْنَ لَدَيْهِ فِقْهٌ فِيْ دِيْنِهِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْنَّسَبَ لَهُ أَثَرٌ، وَلِهَذَا كَانَ بَنُو هَاشِمٍ أَطْيَبَ الْنَّاسِ وَأَشْرَفَهُمْ نَسَبًا، ومِنْ ثَمَّ كَانَ مِنْهُمْ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِيْ هُوَ أَشْرَفُ الْخَلْقِ ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ (سورة الأنعام، آية١٢٤) ، فَلَوْلَا أَنَّ هَذَا الْبَطْنَ مِنْ بَنِيْ آدَمَ أَشْرَفُ الْبُطُوْنِ، مَا كَانَ فِيْهِ الْنَّبِيُّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَا يُبْعَثُ الرَّسُوْلُ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا فِيْ أَشْرَفِ الْبُطُوْنِ وَأَعْلَىٰ الْأَنْسَابِ).(٢)

---

(١) « شرح المشكاة» (٢/ ٦٦١ـ ٦٦٢).

(٢) « شرح رياض الصالحين» لابن عثيمين ـ ط. الثامنة عشرة ـ (١/ ٥٠٠).

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ (ت ٧٢٨ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في « مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٥٤٣): (إِنَّمَا يَفْضُلُ الْإِنْسَانُ بِإِيْمَانِهِ وَتَقْوَاهُ؛ لَا بِآبَائِهِ؛ وَلَوْ كَانُوْا مِنْ بَنِيْ هَاشِمٍ أَهْلِ بَيْتِ الْنَّبِيِّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَإِنَّ اللهَ خَلَقَ الْجَنَّةَ لِمَنْ أَطَاعَهُ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، وَخَلَقَ =

=

النَّارَ لِمَنْ عَصَاهُ وَلَوْ كَانَ شَرِيْفًا قُرَشِيًّا، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ (سورة الحجرات، آية ١٣).

وَفِيْ « الْسُّنَنِ» عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: « لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَىٰ عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَىٰ عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَسْوَدَ عَلَىٰ أَبْيَضَ، وَلَا لِأَبْيَضَ عَلَىٰ أَسْوَدَ، إِلَّا بِالْتَّقْوَىٰ. الْنَّاسُ مِنْ آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ».

وَفِيْ « الْصَّحِيْحَيْنِ» عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِقَبِيْلَةٍ قَرِيْبَةٍ مِنْهُ: « إِنَّ آلَ أَبِيْ فُلَانٍ لَيْسُوْا بِأَوْلِيَائِيْ، إِنَّمَا وَلِيِّـيَ اللهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِيْنَ». فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ مُوَالَاتِهِ لَيْسَتْ بِالْقَرَابَةِ وَالْنَّسَبِ؛ بَلْ بِالْإِيْمَانِ وَالْتَّقْوَىٰ).[٢]

وَقَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ ـ أَيْضًا ـ : (... وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَأَوْلِيَاؤُهُ الْمُتَّقُوْنَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ قَرَابَةُ الْدِّيْنِ وَالْإِيْمَانِ وَالْتَّقْوَىٰ. وَهَذِهِ الْقَرَابَةُ الْدِّيْنِيَّةُ أَعْظَمُ مِنْ الْقَرَابَةِ الطِّيْنِيَّةِ، وَالْقُرْبُ بَيْنَ الْقُلُوْبِ وَالْأَرْوَاحِ أَعْظَمُ مِنَ الْقُرْبِ بَيْنِ الْأَبْدَانِ؛ وَلِهَذَا كَانَ أَفْضَلَ الْخَلْقِ أَوْلِيَاؤُهُ الْمُتَّقُوْنَ، وَأَمَّا أَقَارِبُهُ فَفِيْهِمُ الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ، وَالْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، فَإِنْ كَانَ فَاضِلاً مِنْهُمْ كَعَلِيٍّ، وَجَعْفَرَ، وَالْحَسَنِ، وَالْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَتَفْضِيْلُهُمْ بِمَا فِيْهِمْ مِنَ الْإِيْمَانِ وَالْتَّقْوَىٰ، وَهُمْ أَوْلِيَاؤُهُ بِهَذَا الِاعْتِبَارِ، لَا بِمُجَرَّدِ النَّسَبِ، فَأَوْلِيَاؤُهُ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنْ آلِهِ، وَإِنْ صُلِّيَ عَلَىٰ آلِهِ تَبَعًا لَهُ؛ لَمْ يَقْتَضِ ذَلِكَ أَنْ يَكُوْنُوْا أَفْضَلَ مِنْ أَوْلِيَائِهِ الَّذِيْنَ لَمْ يُصَلَّ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَالْمُرْسَلِيْنَ هُمْ مِنْ أَوْلِيَائِهِ، وَهُمْ أَفْضَلُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَإِنْ لَمْ يَدْخُلُوْا فِيْ الْصَّلَاةِ مَعَهُ تَبَعًا، فَالْمَفْضُوْلُ قَدْ يَخْتَصُّ بِأَمْرٍ، وَلَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُوْنَ أَفْضَلَ مِنَ الْفَاضِلِ،

=

=

وَدَلِيْلُ ذَلِكَ أَنَّ أَزْوَاجَهُ هُمْ مِمَّنْ يُصَلَّىٰ عَلَيْهِ، كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِيْ « الْصَّحِيْحَيْنِ»، فَقَدْ ثَبَتَ بِاتِّفَاقِ النَّاسِ كُلِّهِمْ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ أَفْضَلُ مِنْهُنَّ كُلِّهِن). (٢)

وَقَالَ ابْنُ تَيْمِيَّة أَيْضَاً رَحِمَهُ ٱللَّهُ كَمَا فِيْ « منهاج السنة النبوية» (٨/ ٢١٨-٢٢٠): (لَمْ يُثْنِ اللهُ عَلَىٰ أَحَدٍ فِيْ الْقُرْآنِ بِنَسَبِهِ أَصْلاً : لَا عَلَىٰ وَلَدِ نَبِيٍّ، وَلَا عَلَىٰ أَبِي نَبِيٍّ، وَإِنَّمَا أَثْنَىٰ عَلَىٰ النَّاسِ بِإِيْمَانِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ.

وَإِذَا ذَكَرَ صِنْفًا وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِمْ؛ فَلِمَا فِيْهِمْ مِنْ الْإِيْمَانِ وَالْعَمَلِ، لَا لِمُجَرَّدِ النَّسَبِ.

وَلَمَّا ذَكَرَ الْأَنْبِيَاءَ - ذَكَرَهُمْ فِيْ الْأَنْعَامِ وَهُمْ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ - قَالَ: ﴿ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (سورة الأنعام، آية: ٨٧) . فَبِهَذَا حَصَلَتْ الْفَضِيْلَةُ بِاجْتِبَائِهِ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ، وَهِدَايَتِهِ إِيَّاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيْمٍ، لَا بِنَفْسِ الْقَرَابَةِ.

وَقَدْ يُوْجِبُ النَّسَبُ حُقُوْقًا، وَيُوْجِبُ لِأَجْلِهِ حُقُوْقًا، وَيُعَلِّقُ فِيْهِ أَحْكَامًا مِنَ الْإِيْجَابِ وَالتَّحْرِيْمِ وَالْإِبَاحَةِ، لَكِنَّ الثَّوَابَ وَالْعِقَابَ وَالْوَعْدَ وَالْوَعِيْدَ عَلَىٰ الْأَعْمَالِ لَا عَلَىٰ الْأَنْسَابِ ....) إلخ كلامه المهم. **وانظر أيضاً** « منهاج السنة النبوية» (٤/ ٦٠٠).

وَقَالَ الْإِمَامُ ابْنُ عُثَيْمِيْنَ (ت ١٤٢١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي « شرح رياض الصالحين» لابن عثيمين - ط. الثامنة عشرة - (٢/ ٧٥١): (... الْحِكْمَةُ مِنْ أَنَّ اللهَ جَعَلَنَا شُعُوْبًا وَقَبَائِلَ، لِأَجْلِ أَنْ يَعْرِفَ بَعْضُنَا بَعْضًا، هَذَا عَرَبِيٌّ، وَهَذَا عَجَمِيٌّ، هَذَا مِنْ بَنِيْ تَمِيْمٍ، وَهَذَا مِنْ قُرَيْشٍ، هَذَا مِنْ خُزَاعَةَ، وَهَكَذَا.

فَاللهُ جَعَلَ هَذِهِ الْقَبَائِلَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَعْرِفَ بَعْضُنَا بَعْضًا، لَا مِنْ أَجْلِ أَنْ يَفْخَرَ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ، فَيَقُوْلُ: أَنَا عَرَبِيٌّ وَأَنْتَ عَجَمِيٌّ، أَنَا قَبِيْلِيٌّ وَأَنْتَ غَيْرُ قَبِيْلِيٍّ، أَنَا غَنِيٌّ وَأَنْتَ

=

=

فَقِيرٌ، هَذَا مِنْ دَعْوَىٰ الْجَاهِلِيَّةِ ـ وَالْعِيَاذُ بِاللهِ ـ، لَمْ يَجْعَلِ اللهُ هَؤُلَاءِ الْأَصْنَافِ إِلَّا مِنْ أَجْلِ التَّعَارُفِ لَا مِنْ أَجْلِ التَّفَاخُرِ، وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « إِنَّ اللهَ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ: مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ؛ أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ».

فَالْفَضْلُ فِيْ الْإِسْلَامِ بِالتَّقْوَىٰ، أَكْرَمُنَا عِنْدَ اللهِ هُوَ أَتْقَانَا لِلهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَمَنْ كَانَ لِلهِ أَتْقَىٰ؛ فَهُوَ عِنْدَ اللهِ أَكْرَمُ.

وَلَكِنْ يَجِبُ أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ بَعْضَ الْقَبَائِلِ أَوْ بَعْضَ الشُّعُوبِ أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ، فَالشَّعْبُ الَّذِيْ بُعِثَ فِيهِ الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هُوَ أَفْضَلُ الشُّعُوبِ، شَعْبُ الْعَرَبِ أَفْضَلُ الشُّعُوبِ، لِأَنَّ اللهَ قَالَ فِيْ كِتَابِهِ: ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ (سورة الأنعام، آية ١٢٤).

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « النَّاسُ مَعَادِنُ، خِيَارُهُمْ فِيْ الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِيْ الْإِسْلَامِ إِذَا فَقِهُوا ».

وَلَا يَعْنِيْ هَذَا إِهْدَارَ الْجِنْسِ الْبَشَرِيِّ بِالْكُلِّيَّةِ، لَكِنْ التَّفَاخُرَ هُوَ الْمَمْنُوعُ، أَمَّا التَّفَاضُلُ فَإِنَّ اللهَ يُفَضِّلُ بَعْضَ الْأَجْنَاسِ عَلَىٰ بَعْضٍ، فَالْعَرَبُ أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهِمْ، جِنْسُ الْعَرَبِ أَفْضَلُ مِنْ جِنْسِ الْعَجَمِ، لَكِنْ إِذَا كَانَ الْعَرَبِيُّ غَيْرَ مُتَّقٍ وَالْعَجَمِيُّ مُتَّقِيًا، فَالْعَجَمِيُّ عِنْدَ اللهِ أَكْرَمُ مِنَ الْعَرَبِيِّ).

فَالْأُصُوْلُ النَّسَبِيَّةُ وَالْأَحْسَابُ الرَّضِيَّةُ ؛ مَرْعِيَّةٌ خَاصَّةً إِذَا انْضَمَّ إِلَيْهَا التَّقْوَىٰ وَالصَّلَاحُ وَالْعِلْمُ الشَّرْعِيُّ وَنَفْعُ الْمُسْلِمِيْنَ.(١)

لِذَا ، بِإِحْسَانِكُمْ أَيُّهَا الْحَمَادَى تَزِيْدُوْنَ آبَاءَكُمْ وَأَجْدَادَكُمْ شَرَفًا، كَمَا أَنَّهُمْ زَادُوْكُمْ شَرَفًا، قَالَ الْمُحِبُّ الطَّبَرِيُّ (ت ٦٩٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (إِنَّ شَرَفَ الْأَبْنَاءِ مَنْقَبَةٌ لِلآبَاءِ كَعَكْسِهِ، وَلَمْ تَزَلْ الْعَرَبُ تَتَمَدَّحُ بِمَفَاخِرِ آبَائِهِمْ، فَلَا يَبْعُدْ فِيْ الْأَبْنَاءِ مِثْلُه، وَاللهُ أَعْلَمُ). (٢)

« وَكَمَا يَشْرُفُ الْوَلَدُ بِشَرَفِ الْوَالِدِ، فَقَدْ يَشْرُفُ الْوَالِدُ بِشَرَفِ الْوَلَدِ، وَللهِ دَرُّ ابْنِ الرُّوْمِيِّ فِيْ قَوْلِهِ:

---

(١) انظر: « إكمال المعلم» للقاضي عياض (٧/ ٣٦٢).

(٢) « الرياض النضرة» (١/ ٢٦٥).

فائدة: أبو حيان التوحيدي، ومسكويه يُنكران أن الابن بأفعاله يُشرِّفُ آباءَه وأجدادَه، ويريان أن التشريف من الأب للابن لا العكس... « الهوامل والشوامل» لمسكويه ـ ط. أحمد أمين، وأحمد صقر ـ (ص ١٩٧) رقم (٨٠).

قلت: وليس بصحيح ماذكراه .

وَكَمْ أَبٍ قَدْ عَلَا بِابْنٍ ذُرَىٰ حَسَبٍ[(١)] ❊ كَمَا عَلَتْ بِرَسُوْلِ اللهِ عَدْنَانُ[(٢)]

إِذَنْ « قَدْ يَفِيْضُ شَرَفُ الْإِنْسَانِ حَتَّىٰ يَسْتَطِيْلَ عَلَىٰ مَنْ قَبْلَهُ مِنْ سَلَفِهِ؛ فتَحْيَا رُسُوْمُهُمْ بَعْدَمَا كَانَتْ دَائِرَةً، وَتَعْمُرُ رُبُوْعُهُمْ بَعْدَمَا كَانَتْ غَامِرَةً ».[(٣)]

فَـ « الْخَصْلَةُ الْحَمِيْدَةُ تَكُوْنُ مَفْخَرَةً لِمَنْ اتَّصَفَ بَهَا، وَلِمَنْ انتَسَبَ إِلَى مَنِ اتَّصَفَ بِهَا، فَيَشْرُفُ نَسَبُهُ بِذَلِكَ... وَالْمُنْتَسِبُ إِلَى الْأَشْرَفِ يَجِبُ أَنْ يَكُوْنَ أَشْرَفَ ».[(٤)] و« فَخْرُ الآبَاءِ فَخْرٌ لِلْأَبْنَاءِ، وَعَلَيْهِمْ أَنْ يَعْرِفُوْا نِعَمَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ عَلَيْهِمْ بِهَذِهِ الْمَآثِرِ، وَأَنْ يَقُوْمُوْا بِشُكْرِهَا وَذِكْرِها »[(٥)]، وَأَنْ

---

(١) كذا في « المحاضرات» لليوسي، وبعض كتب الأدب، ولفظه في « ديوان ابن الرومي» تحقيق: د. حسين نصار (٦/ ٢٤٢٥): شَرَف... علا . وهو كذلك في غالب كتب الأدب.

(٢) « المحاضرات في اللغة والأدب» للحسن اليوسي (ت ١١٠٢هـ) (١ / ٥٧).

(٣) « المحاضرات في اللغة والأدب» لليوسي (١/ ٧٤).

(٤) « المحاضرات في اللغة والأدب» (١ / ٥٣ و٥٧).

(٥) « لباب التأويل» للخازن (ت ٧٤١هـ) (١/ ٤٠) بتصرف.

يَعْمَلُوْا بِهَا وَيَزِيْدُوْهَا، « وَالْشَّرَفُ يَتَجَدَّدُ بِسَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ، وَيَزْدَادُ بِهِ الْشَّرِيْفُ شَرَفًا ».(١)

وَإِذَا شَارَفْتَ (٢) غَيْرَكَ بِعَرَاقَةِ الْأَصْلِ، وَفَرَاهَةِ الْحَسَبِ، فَلْيَكُنْ بِمَا يَقْتَرِنُهُ مِنْ اتِّسَائِكَ بِأَجْدَادِكَ وَقِيَامِكَ بِمَسَاعِيْهِمْ وَأَكْثَرْ ؛ أَمَّا الْافْتِخَارُ مِنْ غَيْرِ عَمَلٍ، فَادِّعَاءٌ أَجْوَفُ لَا حَقِيْقَةَ لَهُ، وَهُوَ مِنْ طَبَائِعِ الْعَامَّةِ لَا الْخَاصَّةِ .(٣)

وَلَنْ تَنْفَعُكَ عَرَاقَةُ الْأَصْلِ مَعَ ضَآلَةِ الْحَسَبِ ! وَكَمْ مِنْ مَغْمُوْرِ النَّسَبِ، عَرِيْقٌ فَارِهُ الْحَسَبِ ؟

وَ « لَا مِرَاءَ فِيْ أَنَّ الْأُبُوَّةَ لِلْمَسَاعِيْ لَا لِلْأَنْسَابِ، وَأَنَّ الْاعْتِزَاءَ إِلَىٰ الْذِّكْرِ الْبَاقِيْ لَا إِلَىٰ الْتُّرَابِ».(٤)

---

(١) « المحاضرات في اللغة والأدب» للحسن اليوسي (١/ ٧٢) بتصرف يسير.

(٢) شارَفْتُ الرَّجُلَ: أي فاخَرْتُه أيُّنا أشرفُ. « الصحاح» للجوهري (٤/ ١٣٨٠).

(٣) انظر: « الهوامل والشوامل» لمسكويه (ص ٣٤٢).

(٤) « الوشي المرقوم» للضياء ابن الأثير (ص٢٧٠).

أيُّهَا الحمَادَي ـ رَفَعَ اللهُ قَدْرَكُمْ ـ ، إِنَّ مَا نُشَاهِدُهُ مِنَ الْخَيْرَاتِ الْعِلْمِيَّةِ، وَالْعَمَلِيَّةِ، مَعَ الْنَّسَبِ وَالْحَسَبِ الْطَّيِّبِ أَصْلاً وَفَرْعَـا، لَا يَدْعُوْنَا لِلْفَخْرِ وَالْتَّكَاسُلِ، بَلْ عَلَيْنَا أَنْ نَسْعَىٰ فِيْ الْزِّيَادَةِ مِنَ الْخَيْرَاتِ وَالْتُّقَىٰ، لِنَفْعِ أَنْفُسِنا وَرِفْعَتِهَا فِيْ الْدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَعَلَيْنَا الْتَّوَاصِي دَوْمَـا بِالْبُعْدِ عَنْ كُلِّ مَا يُكَدِّرُ هَذِهِ الْنَّتَائِجَ الْطَّيِّبَةَ الْمُتَوَارَثَة حِسِّيًّا وَمَعْنَوِيًّا، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ (ت ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (.... فَلِهَذَا كَانَ أَهْلُ الْأَنْسَابِ الْفَاضِلَةِ يُظَنُّ بِهِمُ الْخَيْرَ، وَيُكْرَمُوْنَ لِأَجْلِ ذَلِكَ . فَإِذَا تَحَقَّقَ مِنْ أَحَدِهِمْ خِلَافُ ذَلِكَ، كَانَتْ الْحَقِيْقَةُ مُقَدَّمَةً عَلَىٰ الْمَظِنَّةِ. وَأَمَّا مَا عِنْدَاللهِ فَلَا يَثْبُتُ عَلَىٰ المَظَانِّ وَلَا عَلَىٰ الدَّلَائِلِ، إِنَّمَا يَثْبُتُ عَلَىٰ مَا يَعْلَمُهُ هُوَ مِنَ الْأَعْمَالِ الْصَّالِحَةِ، فَلَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ دَلِيْلٍ، وَلَا يَجْتَزِئُ بِالْمَظِنَّةِ؛ فَلِهَذَا كَانَ أَكْرَمُ الْخَلْقِ عِنْدَهُ أَتْقَاهُمْ.

فَإِذَا قُدِّرَ تَمَاثُلُ اثْنَيْنِ عِنْدَهُ فِيْ الْتَّقْوَىٰ؛ تَمَـاثَلَا فِـيْ الْدَّرَجَـةِ، وَإِنْ كَـانَ أَبُوْ أَحَدِهِمَا أَوْ ابْنُه أَفْضَلَ مِنْ أَبِيْ الْآخَرِ أَوْ ابْنِـهِ، لَكِـنْ إِنْ حَصَـلَ لَـهُ بِسَـبَبِ

نَسَبِهِ زِيَادَةٌ فِيْ الْتَّقْوَىٰ؛ كَانَ أَفْضَلَ لِزِيَادَةِ تَقْوَاهُ...). [١]

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (...تُحْمَدُ الْأَنْسَابُ الْفَاضِلَةُ؛ لِأَنَّهَا مَظِنَّةُ عَمَلِ الْخَيْرِ؛ فَأَمَّا إِذَا ظَهَرَ الْعَمَلُ، فَالْجَزَاءُ عَلَيْهِ، وَأَكْرَمُ الْخَلْقِ عِنْدَاللهِ أَتْقَاهُمْ). [٢]

أيُّهَا الحمَادِي ـ أَسْعَدَكُمُ اللهُ وَأَسْعَدَ بِكُمْ ـ « إِنَّ شَرَفَ النَّسَبِ يُتَقَوَّمُ مِنْ شَرَفِ الْقَوْمِ وَشَرَفِ الْعَشِيْرَةِ، وَمِنْ نَزَاهَةِ سِلْسِلَةِ الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ عَنْ أَنْ يَلْتَصِقَ بِهِمَا مَا يَثْلُمُ ذَلِكَ الْشَّرَفَ، وَيَعُوْدُ نَقْصُهُ بِفَضَاضَةٍ فِيْ شَرَفِ الْخَلَفِ »[٣] ، وَ« الْأَنْسَابُ لَيْسَتْ مِنْ كَسْبِ الْإِنْسَانِ حَتَّىٰ يَكُوْنَ قُرْبَةً تَجُرُّ الْأَجْرَ، أَوْ مَفْخَرَةً تَرْفَعُ الْذِّكْرَ، وَإِنَّمَا يُثَابُ الْعَامِلُ عَلَىٰ كَسْبِهِ وَيَفْخَرُ الْفَاخِرُ بِعَمَلِهِ ».[٤]

---

(١) « منهاج السنة النبوية» (٨/ ٢١٦).

(٢) « مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٣١٢).

(٣) « جمهرة مقالات ورسائل الطاهر ابن عاشور» (٢/ ٥١٤) .

(٤) « آثار البشير الإبراهيمي» (٤/ ٣٢٩) بتصرف يسير .

قَالَ الْطَّاهِرُ ابْنُ عَاشُوْرٍ (ت ١٣٩٣هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (لَا يُعَدُّ الْنَّسَبُ مِنَ الْفَضَائِلِ الْذَّاتِيَّةِ، وَإِنَّمَا يُعَدُّ فَضِيْلَةً مِنْ حَيْثُ هُوَ وَسِيْلَةٌ إِلَىٰ نَمَاءِ الْفَضَائِلِ فِيْ الْنَّفْسِ الْمَطْبُوْعَةِ عَلَىٰ الْفَضِيْلَةِ، وَقُدْوَةٌ لِلْخَلَفِ يَأْتَسُوْنَ بِهَا آثَارَ أَسْلَافِهِمْ فِيْ مُرْتَقَىٰ الْكَمَالِ، فَيَحْصُلَ مِنْ ذَلِكَ كَمَالَانِ: كَمَالُ الْذَّاتِ وَكَمَالُ الْقُدْوَةِ ؛ وَمِنْ حَيْثُ هُوَ قَاطِعٌ لِأَلْسِنَةِ الْحَاسِدِيْنَ الَّذِيْنَ يَحْسِدُوْنَ أَهْلَ الْكَمَالِ عَلَىٰ كَمَالِهِمْ، وَالْمُعَانِدِيْنَ لِكُلِّ مَنْ يَدْعُوْهُمْ إِلَىٰ خَلْعِ ذَمِيْمِ أَعْمَالِهِمْ، فَإِذَا لَمْ يَجِدُوْا مَغْمَزاً فِيْمَنْ حَسَدُوْهُ وَعَانَدُوْهُ الْتَمَسُوْا لَهُ مَا يَحُفُّ بِهِ مِنَ الْعَوَارِضِ، وَلَا شَيْءَ يَحُفُّ بِالْمَرْءِ أَشَدُّ بِهِ تَعَلُّقًا مِنْ حَالِ آبَائِهِ).[١]

قَالَتْ الْأَدِيْبَةُ جَدِيْلَةٌ: « الْنَّسَبُ الْجَلِيْلُ أُعْطِيَةٌ رَبَّانِيَّةٌ ، لَوْ لَمْ يَكُنْ لَهَا مَعْنَىٰ لَمَا اصْطَفَىٰ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ رَسُوْلَهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَعْرَقِ الْأَنْسَابِ، لَكِنَّ آفَتَهُ: أَنَّهُ قَدْ يُكْسِبُ الْخَاوِيَ وَهْمَ الْفَوْقِيَّةِ وَهُوَ لَوْ بِيْعَ فِيْ سُوْقِ الْمَجْدِ بِثَمَنٍ بَخْسٍ، مَا اشْتَرَاهُ أَحَدٌ... فَتَجِدُ الْعَارِيَ مِنَ الْعِلْمِ وَالْخُلُقِ وَالْمُرُوْءَةِ يَزْدَرِيْ مَنْ زَيَّنَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بِهَذِهِ الْأَمْجَادِ ؛ اتِّكَالاً عَلَىٰ مَحْتَدِهِ ».[٢]

---

(١) « جمهرة مقالات ورسائل الطاهر ابن عاشور» (٢/ ٥١٣) .
(٢) جديلة @jadelah10 (١٩/ ١٢/ ١٤٤١هـ).

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: « لَا يَكُوْنُ الْشَّرَفُ بِالْنَّسَبِ[(١)] ! أَلَا تَرَىٰ أَنَّ أَخَوَيْنِ لِأَبٍ وَأُمٍّ يَكُوْنُ أَحَدُهُمَا أَشْرَفَ مِنَ الْآخَرِ ؟! وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ قِبَلِ النَّسَبِ لَمَا كَان لأحَدٍ مِنْهُمْ عَلَىٰ الآخَرِ فَضْلٌ، لِأَنَّ نَسَبَهُمَا وَاحِدٌ، وَلَكِنَّ ذَلِكَ مِنْ قِبَلِ الْأَفْعَالِ؛ لِأَنَّ الشَّرَفَ إِنَّمَا هُوَ بِالْفَضْلِ لَا بِالْنَّسَبِ » .

قَالَ الْشَّاعِرُ:

أَبُوْكَ أَبِيْ وَالْجَدُّ لَا شَكَّ وَاحِدٌ * وَلَكِنَّنَا عُودَانِ آسٌ وخِرْوَعُ [(٢)]

---

(١) النسَبُ مَظِنَّةُ الشَّرَفِ، وانظر: « الأخلاق والسِّيَر» لابن حزم (ص ١٦٣) في حَدِيثٍ له جَميلٌ يُعالجُ فيه المُبتلىٰ بالعُجْبِ بنسَبِه.

(٢) « المحاسن والأضداد» المَنْسُوب للجاحظ (ص ١٤٩)، و« المحاسن والمساوئ » لإبراهيم البيهقي (ص ١٠٢). قَالَ الأصمعي كما في « لسان العرب» (٨/ ٦٨) : (وَكُلُّ نَبْتٍ ضعيفٍ يَتَثَنَّىٰ أَيَّ نَبت كَانَ، فهو خِرْوَعٌ). والآسُ: شجر معروف، كثير بأرض العرب، ينمو حَتَّىٰ يكون شَجَرَاً عِظاماً. انظر: « تاج العروس» (١٥/ ٤٢٥).

فائدة (١): لاتصح نسبةُ كتاب « المحاسن والأضداد» للجاحظ، انظر تحقيق ذلك في كتاب « منهج تحقيق نسبة النص النثري» د. محمد علي عطا (ص ٢٥٢ ـ ٢٦٠).

فائدة (٢): في الجامعة الأردنية رسالة ماجستير لعمر ذياب أبو هنية، بعنوان: « موازنة بين كتاب المحاسن والأضداد للجاحظ وكتاب المحاسن والمساوئ للبيهقي ـ دراسة تحليلية ـ » تقع في (١٧٢ صفحة)، (١٤٢٩هـ).

إِنِّيْ أُحِيْلُكُمْ أَيُّهَا الْحَمَادَىٰ عَلَىٰ أَنْسَابِكُمْ فَهِيَ أَرْحَامٌ، وَعَلىٰ دِيْنِكُمْ فَهُوَ عُرْوَةُ اعْتِصَامٍ، وَعَلَىٰ أَدَبِكُمْ وَمُرُوْآتِكُمْ فَهِيَ قِوَامٌ، وَعَلَىٰ خَصَائِصِكُمْ وَسِمَاتِكُمْ فَهِيَ شَرَفٌ وَذِمَامٌ. أَنْتُمْ أَبْنَاءُ عَمٍّ قَرِيْبُوْنَ، رَحِمٌ مَاسَّةٌ، وَأَعْرَاضٌ مَحْفُوْظَةٌ، « الْقَرَابَةُ مَوْضِعُ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ عِنْدَ اللهِ، وَالْعِرْضُ مَحَلُّ الْمَدْحِ وَالذَّمِّ عِنْدَ النَّاسِ » [1]، فَحَافِظُوْا عَلَىٰ سُمْعَتِكُمْ، وَقُوْمُوْا عَلَىٰ الْمُرُوْءَةِ وَالْآدَابِ فِيْ خَطٍّ مُسْتَقِيْمٍ، كَاسْتِقَامَةِ قُلُوْبِكُمْ، فَاللهَ اللهَ آلَ الْحُمَيْدِيِّ بِخِلَالٍ وَخِصَالٍ، وَهِمَمٍ تَتَشَقَّقُ عَنْ فِعَالٍ، نُرِيْدُ بِنَاءَ مَآثِرَ، وَتَشْيِيْدَ أَمْجَادٍ وَمَحَامِدَ، نُرِيْدُ رُؤْيَةَ مَسَاعٍ مِنَ الْكِرَامِ إِلَىٰ الْمَكَارِمِ، وَدَوَاعٍ مِنَ الْعُظَمَاءِ إِلَىٰ الْعَظَائِمِ، نُرِيْدُ عَزَائِمَ لَا تَعْرِفُ الْهَزَائِمَ، وَعِزَّةً وَكَرَامَةً، وَشِدَّةً فِيْ الْحِفَاظِ وَصَرَامَةً، اللهَ اللهَ أَيُّهَا الْحَمَادَىٰ بِطُمُوْحٍ وَجُمُوْحٍ: طُمُوْحٌ إِلَىٰ مَنَازِلِ الْعِزِّ، وَجُمُوْحٌ عَنْ مَوَاطِنِ الذُّلِّ، نُرِيْدُ رُجُوْلَةً وَبُطُوْلَةً، وَأَصَالَةً وَفُحُوْلَةً، وَطَبْعًا أَصِيْلاً ، وَرَأْيًا جَلِيْلاً، وَلِسَانًا بِالْبَيَانِ بَلِيْلاً، وَعَقْلاً عَلَىٰ الْحِكْمَةِ دَلِيْلاً. [2]

---

(١) « آثار البشير الإبراهيمي» (٤/ ١٤٠).

(٢) اقتباس من « آثار الإبراهيمي» (٤/ ٢٦٨).

قَالَتْ الْأَدِيْبَةُ جَدِيْلَةُ: (يُوْصَفُ طَرِيْقُ الْمَجْدِ دَائِمًا أَنَّهُ شَاقٌّ مَحْفُوْفٌ بِالْمَكَارِهِ، مَعَ أَنَّ طَرِيْقَ الْكَسَلِ وَالتَّوَانِيْ أَشَدُّ شُقَّةً وَعَذَابًا مِنْهُ... لِكَنَّ مَكَارِهَ الْكَسَلِ مُؤَجَّلَةٌ، وَمَكَارِهَ الْمَجْدِ مُعَجَّلَةٌ فِيْ أَوَّلِهِ... كِلَا الطَّرِيْقَيْنِ يَغْشَىٰ سَالِكُهُمَا الْكَبَدَ وَالْعَنَاءَ، لَا رَاحَةَ عَلَىٰ أَرْضِ الدُّنْيَا، فَاخْتَرْ أَيَّ عَنَاءٍ شِئْتَ) .[1]

قَالَ شَكِيْبْ أَرْسَلَانْ (ت ١٣٦٦ هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ : (وَلَمَّا كَانَ مِنَ الْحَقَائِقِ الْعِلْمِيَّةِ الثَّابِتَةِ الْمُقَرَّرَةِ عِنْدَ الْأَطِبَّاءِ وَالْحُكَمَاءِ، كَمَا هِيَ مُقَرَّرَةٌ عِنْدَ الْأُدَبَاءِ وَالشُّعَرَاءِ: أَنَّ الْأَخْلَاقَ وَالْمُيُوْلَ وَالنَّزَعَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ تَتَوَارَثُ كَمَا تَتَوَارَثُ الْأَمْرَاضُ وَالْأَعْرَاضُ الصِّحِّيَّةِ، وَالدِّمَاءُ الْجَارِيَةِ فِيْ الْعُرُوْقِ، فَقَدْ كَانَ لَابُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ الْأَنْسَابِ حَتَّىٰ يَسْعَىٰ كُلُّ فَرِيْقٍ فَيْ إِصْلَاحِ نَوْعِهِ بِطَرِيْقِ التَّرْقِيَةِ وَالتَّهْذِيْبِ، ضِمْنَ دَائِرَةِ الدَّمَوِيَّةِ، بِحَسَبِ اسْتِعْدَادِهَا الْفِطْرِيِّ؛ لِأَنَّ الْاجْتِهَادَ فِيْ تَنْمِيَةِ الْقَرَائِحِ الطَّبِيْعِيَّةِ وَالْمَوَاهِبِ اللَّدُنِيَّةِ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُثْمِرَ ثَمَرَهُ فِيْ قَبِيْلٍ إِذَا جَاءَ مُعَاكِسًا لِاسْتِعْدَادِهِ الْفِطْرِيِّ، وَهَذِهِ الْاسْتِعْدَادَاتُ

---

(١) جديلة @jadelah10 (٨/ ٣/ ١٤٤٢هـ).

أَحْسَنُ دَلِيْلٍ عَلَيْهَا هُوَ عِلْمُ الْأَنْسَابِ).[١]

وَهَذَا مَا يُقَالُ عَنْهُ: الْعِرْقُ دَسَّاسٌ = نَزَّاعٌ، وُيَسَمِّيْ بَعْضُهُمْ مِيْرَاثَ الْأَبْنَاءِ طَبَائِعَ الْأَجْدَادِ: قَانُوْنَ الرَّجْعَةِ، أَوْ مُمَاثَلَةَ الْجُدُوْدِ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ يَعُوْدُ عَلَىٰ صُوْرَةِ أَجْدَادِهِ الْأَوَّلِيْنَ كَمَا **قَالَهُ كُرْدُ عَلِيٍّ (ت ١٣٧٢ هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَقَالَ أَيْضًا:** « وَقَلَّ أَنْ تَخَلَّفَتْ قَاعِدَةُ الْوِرَاثَةِ حَتَّىٰ بَعْدَ قُرُوْنٍ طَوِيْلَةٍ».[٢] وَبَعْضُهُمْ يَعْتَبِرُ تَخَلُّفَ طِبَاعِ الْفُرُوْعِ عَنِ الْأُصُوْلِ عَلَامَةَ هُجْنَةٍ وَدَخَنٍ.[٣]

---

(١) « الأنساب» طُبعت ملحقاً بكتاب « الارتسامات اللطاف = الرحلة الحجازية» (ص ٤٠٧).

(٢) « أقوالنا وأفعالنا» (١٥٥ـ ١٦١). وانظر في المعنىٰ أيضاً: «جمهرة مقالات ورسائل الطاهر ابن عاشور» (٢/ ٥١٩).

(٣) انظر: « آثار البشير الإبراهيمي» (٣/ ٤١٠).

فائدة: قَالَ الْشَّيْخُ العَلَّامَةُ: بَكْرُ أَبُوْ زَيْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ « خَصَائِصُ جَزِيْرَةِ الْعَرَبِ» (ص ٩٣ـ ٩٤): (وَإِذَا كَانَ الْإِسْلَامُ قَدْ مَحَا الْعَصَبِيَّةَ الْقَبَلِيَّةَ الْمَمْقُوْتَةَ، فَإِنَّ الْمُحَافَظَةَ عَلَىٰ سَلَاسِلِ النَّسَبِ مَطْلُوْبَةٌ؛ وَالْمُحَافَظَةُ عَلَىٰ نَقَاءِ النُّطَفِ وَأَنْسَابِهَا لَا تَعْنِيْ الْعَصَبِيَّةَ بِحَالٍ..... إِلَىٰ أَنْ قَالَ: وَاعْتِبَارُ الْكَفَاءَةِ لَهُ آثَارٌ حِسَانٌ فِيْ التَّرْبِيَةِ، وَعِزَّةِ الْدَّارِ، وَقِوَامِ الْأَخْلَاقِ، وَمَنَاهِجِ الْشَّرَفِ...).

وَالْعَرَبُ تَقُوْلُ: عِرْقُ الْسُّوْءِ يَنْجُثُ[١] وَلَـو بَعْـدَ حِيْنٍ. أَيْ: يُسْتَخْرَج مِنْهُ مَا هُوَ كَامِنٌ فِيْهِ.[٢]

رُوِي عَن عُثْمَان بْنِ أَبِي العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قَالَ: «النَّاكِحُ مُغْتَرِسٌ، فَلْيَنْظُرْ أَيْنَ يَضَعُ غَرْسَهُ، فَإِنَّ عِرْقَ الْسُّوْءِ لَا بُدَّ أَنْ يَنْزِعَ وَلَوْ بَعْدَ حِيْنٍ».[٣]

قَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ لِبَنِيْهِ: «يَا بَنِيَّ، لَا يَغْلِبَنَّكُمْ جَمَالُ الْنِّسَاءِ عَنْ صَرَاحَةِ الْنَّسَبِ، فَإِنَّ الْمَنَاكِحَ الْكَرِيْمَةَ مَدْرَجَةٌ لِلْشَّرَفِ».[٤]

إِذَنْ تُؤَثِّرُ الْأَعْرَاقُ ـ حَسَنَةً كَانَتْ أَوْ سَيِّئَةً ـ فِيْ الْأَحْفَادِ = الْوِرَاثَةِ، فَيَفْتَخِرُوْنَ بِحُسْنِهَا، وَيُهْجَوْنَ بِمَسَاوِئِهَا، وَيَتَجَنَّبُهُمْ الْنَّاسُ لِأَجْلِهَا، لِذَا عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْحَمَادَى ـ أَكْرَمَكُمُ اللهُ بِطَاعَتِهِ، وَرَفَعَ قَدْرَكُمْ ـ أَنْ تُحَافِظُوْا عَلَى الْأَعْرَاقِ الْطَّيِّبَةِ الَّتِيْ تَنِضُّ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَالْشِّيَمِ وجَمِيْلِ الْطَّبَائِعِ،

---

(١) النَّجَثُ: إِبْرَازُ شَيْءٍ وَسَوْءَةٍ. «مقاييس اللغة» (٥/ ٤٠٠).

(٢) «جمهرة الأمثال» لأبي هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) (١/ ١٨).

(٣) «الاستيعاب» لابن عبدالبر (٣/ ١٠٣٦)، «تاريخ الإسلام» للذهبي (٢/ ٥٢٣).

(٤) انظر: «المعمرون والوصايا» لأبي حاتم السجستاني (ص)، «جمهرة الأمثال» لأبي هلال العسكري (١/ ١٨)، «أدب الدنيا والدين» (ص٢٥٣)، «بهجة المجالس» (٣/ ٣٥).

وَأَنْ تُجَدِّدُوْا الْمَآثِرَ وَتُحْسِنُوْا، ثُمَّ تَعُوْدُوْا، ثُمَّ تَتَعَاهَدُوْهَا بِاسْتِمْرَارٍ؛ لِيَرِثَ أَحْفَادُكُمْ الْمَكَارِمَ وَالْسُّمْعَةَ الْطَّيِّبَةَ.(١)

قَاْلَ شَكِيْبْ أَرْسَلَانْ (ت ١٣٦٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (وَنَحْنُ لَوْ نَظَرْنَا إِلَىٰ الْسَّبَبِ فِيْ حِفْظِ الْنَّسَبِ، لَا نَجِدْهُ مُنْحَصِرَاً فِيْ مَعْرِفَةِ الْتَّارِيْخِ، وَلَا فِيْ الْامْتِيَازَاتِ الْمَادِّيَّةِ الَّتِيْ يَحُوْزُهَا أَصْحَابُ الْنَّسَبِ فِيْ الْعَادَةِ، وَلَكِنْ هُنَاكَ غَرَضٌ آخَرَ مِنْ ذَا وَ ذَا، وَهُوَ: تَوَارُثُ الْأَخْلَاقِ الَّتِيْ تَهْتِفُ بِالْفَضَائِلِ وَالْأَفْعَالِ الْمَجِيْدَةِ الَّتِيْ تُزَكِّيْ الْأَنْفُسَ.

فَمِنَ الْمَعْلُوْمِ أَنَّ أَصْلَ الْبُيُوْتِ الْشَّرِيْفَةِ هُوَ أَنْ يَبْرُعَ أَحَدُ الْنَّاسِ عَلَىٰ أَقْرَانِهِ، وَيَبُذَّ أَبْنَاءَ زَمَانِهِ بِطَبِيْعَةٍ مُمْتَازَةٍ فِيْهِ، قَدْ تَكُوْنُ أَسْبَابُهَا الْنَّفْسِيَّةِ مَجْهُوْلَةً، وَإِنَّمَا آثَارُهَا فِيْ أَفْعَالِهِ، فَيَمْتَازُ بَيْنَ قَوْمِهِ، وَتَحْصُلُ لَهُ رِئَاسَةٌ وَسُؤْدَدٌ، وَيَشِيْعُ ذِكْرُهُ، وَيَرْتَفِعُ شَأْنُهُ، وَتَتَمَنَّىٰ الْحَامِلُ أَنْ تَلِدَ مِثْلَهُ، وَهَذَا يُقَالُ لَهُ: **الْمَجْدُ الْطَّرِيْفُ**.

---

(١) انظر: « الهوامل والشوامل» لمسكويه (ص٢٣٣)، ومقال للدكتور الطبيب: حامد الغوابي بعنوان: « الإرث التناسلي بين الطب والإسلام» في « مجلة الرسالة» العدد (٩١٠).

وَبَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَعْقَبَ نَسْلاً، اجْتَهَدَ نَسْلُهُ أَنْ يَقْتَدُوْا بِهِ بِقَدْرِ الْإِمْكَانِ، حَتَّىٰ يَمْتَازُوْا بِالْأَخْلَاقِ الَّتِيْ امْتَازَ بِهَا أَبُوْهُمْ، وَيَحُوْزُوْا مِثْلَ مَا حَازَ مِنَ الشَّرَفِ وَالسُّؤْدَدِ، وَتَعِبَ رَهْطُهُمْ فِيْ تَقْوِيَةِ هَذِهِ الرُّوْحِ فِيْهِمْ؛ طَمَعًا فِيْ اسْتِبْقَاءِ هَذِهِ الْغَرَائِزِ الَّتِيْ أَوْرَثَهُمْ إِيَّاهَا سَلَفُهُمْ، وَهِيَ الَّتِيْ تُغْرِيْهِمْ بِالْفَضَائِلِ، وَتُبْعِدُهُمْ عَنِ الرَّذَائِلِ، وَتَرْتَفِعُ بِهِمْ عَنْ سَفَاسِفِ الْأُمُوْرِ، وَيُقَالُ لِهَذَا : **الْمَجْدُ التَّلِيْدُ**.

وَلِهَذَا كَانَ مِنْ الْعَادَةِ أَنَّهُ إِذَا أَقْدَمَ أَحَدُ أَبْنَاءِ الْبُيُوْتَاتِ الْكَرِيْمَةِ عَلَىٰ عَمَلٍ خَسِيْسٍ، كَانَ أَوَّلَ مَا يُقَرِّعُهُ النَّاسُ، وَيُهَيِّبُوْنَ بِهِ إِلَىٰ التَّوْبَةِ مِنْهُ، أَنْ يَقُوْلُوْا لَهُ: أَفَلَسْتَ أَنْتَ ابْنَ فُلَانٍ ؟! أَوْ مِنْ آلِ فُلَانٍ ؟! أَيَجْمُلُ بِكَ أَنْ تَفْعَلَ مَا هُوَ كَذَا وَكَذَا ؟!! فَمَا تَرَكْتَ لِلسُّوْقَةِ وَالطَّغَامِ ؟! وَأَشْبَاهُ هَذِهِ الْأَقْوَالِ الَّتِيْ تَدُلُّ دِلَالَةً وَاضِحَةً عَلَىٰ أَنَّ الْأَصَالَةَ مَفْرُوْضٌ فِيْهَا أَنْ تَقْتَرِنَ بِالنَّبَالَةِ، وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَىٰ: إِنَّ الْأَصِيْلَ فِيْ نَسَبِهِ يَنْبَغِيْ أَنْ يَكُوْنَ فَاضِلاً فِيْ عَمَلِهِ، بَارِعًا بِأَدَبِهِ، وَمَا جَاءَ عَلَىٰ خِلَافِ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ يُعَدُّ شَاذًّا.

فَإِذَا تَقَرَّرَ عِنْدَنَا هَذَا، تَقَرَّرَ أَنَّ حِفْظَ النَّسَبِ هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ حِفْظِ الْفَضَائِلِ، وَإِمْتَاعِ الْمُجْتَمَعِ بِهَا، وَمَتَىٰ كَثُرَتِ الْفَضَائِلُ فِيْ الْمُجْتَمَعِ؛ تَرَقَّتِ

الْأُمَّةُ وَعَرَجَتْ فِيْ سُلَّمِ النَّجَاحِ، وَأَصْبَحَتْ أُمَّةً عَزِيْزَةً غَالِبَةً؛ لِأَنَّ الْأَخْلَاقَ الْفَاضِلَةَ هِيَ الْأَسَاسُ الَّتِيْ يُبْنَىٰ عَلَيْهِ كَيَانُ الْأُمَمِ).[١]

قَالَ الْبَشِيْرُ الْإِبْرَاهِيْمِيُّ الْجَزَائِرِيُّ (ت ١٣٨٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (وَمَتَىٰ شَعُرَ الْإِنْسَانُ الصَّحِيْحُ الْفِطْرَةِ بِزَكَاءِ الْأَصْلِ وَطَهَارَةِ الْمَنْبَتِ؛ تَحَرَّكَتْ فِيْهِ نَوَازِعُ النَّخْوَةِ، وَهَاجَتْ بِهِ عُرُوْقُ الْأَصَالَةِ وَالْعِتْقِ، فَكَانَ ذَلِكَ دَاعِيَةً لَهُ إِلَىٰ الْعُزُوْفِ عَنِ الدَّنَايَا، وَالتَّعَلُّقِ بِأَسْبَابِ الشَّرَفِ وَالْكَمَالِ، وَحُسْنِ التَّأَسِّيْ فِيْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ . وَبَعْضُ هَذَا هُوَ سِرُّ سُلُوْكِ الْمُرَبِّيْنَ لِلْأُمَمِ فِيْ إِشْرَابِهَا تَارِيْخَهَا، وَاسْتِنَارَتِهَا بِسِيَرِ أَمْجَادِهَا وَأَبْطَالِهَا...).[٢]

إِنَّ عَرْضَ مَآثِرِ الْأَجْدَادِ الطَّيِّبَةِ، وَنَقْلَ مَوَاقِفِهِمْ وَقَصَصِهِمْ؛ تَبْعَثُ عَلَىٰ الْمُحَاكَاةِ، فَيَثْبُتَ الْخَيْرُ فِيْ الْأَبْنَاءِ طَبَقَةً بَعْدَ طَبَقَةٍ، « وَالنُّفُوْسُ تُؤْخَذُ بِالْاحْتِذَاءِ وَالْمُحَاكَاةِ أَكْثَرَ مِمَّا تُؤْخَذُ بِالْجِبِلَّةِ وَالطَّبْعِ »[٣] وَبِثَبَاتِهِ لَا يَحْتَاجُ

---

(١) « الأنساب» طُبعت ملحقاً بكتاب « الارتسامات اللطاف = الرحلة الحجازية» (ص ٤٢٧ ـ ٤٢٨).

(٢) « آثار البشير الإبراهيمي الجزائري» (١/ ٣٩٤).

(٣) اقتباس من « آثار البشير الإبراهيمي» (١/ ٢٨٥).

الْأَحْفَادُ إِلَىٰ بَحْثٍ وَمُسَاءَلَةٍ عَنْ مَحَاسِنِ أَجْدَادِهِمْ، مَادَامَتْ مُوَثَّقَةً حَرْفَـًا وَصَوْتـًا، فَمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اسْتِبَانَتِهِ إِلَّا أَنْ يَسْمَعَ وَاعٍ فَيُطْرِقُ، وَيَرَىٰ مُبْصِرُ فَيُحْدِقُ مُسْتَبْشِرَاً، ثُمَّ يَرْتَعُ تَالِيًا دَاعِيًا مُسْتَحْفِظـًا.

قَالَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ (ت ٦٧ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لَا يَزَالُ الْعَرَبُ بِخَيْرٍ مَا تَذَاكَرُوْا الْأَحْسَابَ وَأَحْيَوْهَا، وَأَخَذُوْا بِصَالِحِ مَا كَانَ عَلَيْهِ سَلَفُهُمْ وَأَغْلَظُوْا وَلَمْ يَكُوْنُوْا فَوْضَىٰ، وَتَعَايَرُوْا الدَّنَاءَةَ، وَأَقَالُوْا الْأَحْيَاءَ، وَأَعْفَوْا الْأَمْوَاتَ، وَلَمْ يَعُدُّوا الْحِلْمَ ذُلَّاً). [(١)]

قِيْلَ: لَا زِيْنَةَ أَحْسَنُ مِنْ زِيْنَةِ الْحَسَبِ، وَلَا حَسَبَ لِمَنْ لَا أَدَبَ لَهُ،[(٢)] وَلَا أَدَبَ لِمَنْ لَا مُرُوْءَةَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ مِمَّنْ لَا حَسَبَ لَهُ؛ بَلَغَ بِهِ أَدَبُه مَرَاتِبَ ذَوِيْ الْأَحْسَابِ. [(٣)]

---

(١) « أنساب الأشراف» للبلاذري (١٢/ ٣٢٠) .

(٢) وقالوا: لا حَسَبَ كحُسْنِ الخُلُق. « الأدب الصغير» لابن المقفع (ص ٨٩).

(٣) « المروءة» للمرزبان (ص٥٩)، « موضح أوهام الجمع والتفريق» (٢/ ٣١٠)، وانظر: « روضة العقلاء» (ص ٢٣٢).

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ (ت ١١٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ ضِمْنَ نَصِيْحَتِهِ لِلْخَلِيْفَةِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِالْعَزِيْزِ رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ : (.... عَلَيْكَ بِذَوِي الْأَحْسَابِ، فَإِنَّهُمْ إِنْ لَمْ يَتَّقوا اسْتَحْيَوْا، وَإِنْ لَمْ يَسْتَحْيَوْا تَكَرَّمُوْا).

عَلَّقَ أَبُوْ حَيَّانَ الْتَّوْحِيْدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بِقَوْلِهِ: صَدَقَ وَاللهِ الْحَسَنُ ـ وَكَانَ صَدُوْقًا ـ وَقَدْ رَأَيْتُ مَنْ تَوَقَّىٰ بِحَسَبِهِ مَا لَمْ يَتَوقَّهُ ذُوْ الْوَرَعِ بِوَرَعِهِ. (١)

قَالَ الجَاحِظُ (ت ٢٥٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (هَلْ الْمَجْدُ إِلَّا كَرَمُ الْأَرُوْمَةِ وَالْحَسَبِ، وَبُعْدُ الْهِمَّةِ وكَثْرَةُ الأَدَبِ، وَالْثَّبَاتُ عَلَىٰ الْعَهْدِ إِذَا زَلَّتْ الْأَقْدَامُ، وَتَوْكِيْدُ الْعَقْدِ إِذَا انْحَلَّتْ مَعَاقِدُ الْكِرَامِ، وَإِلَّا الْتَّوَاضُعُ عِنْدَ

(١) « البصائر والذخائر» (٢/ ٢٦)، « محاضرات الأدباء» (١/ ٦٩٥)، « ربيع الأبرار» (٥/ ١٦٣).

هذا، وإن من محاسن هذه المناشط العلمية والإعلامية التي مَنَّ الله عَزَّوَجَلَّ بإيجادها في الحمادىٰ بدءاً من (١٨/ شعبان/ ١٤٤١هـ) أن تُلفت انتباه الحمادىٰ كُلِّهُم، خَاصَةً الناشئة إلىٰ الحسَب والصِّيتِ الذي ورِثوه، ليحافظوا عليه، وليكون وازعًا عما يكدِّر هذه السمعة الحسنة المباركة.

حُدُوْثِ الْنِّعْمَةِ، وَاحْتِمَالُ كُلِّ الْعَثْرَةِ، وَالْنَّفَاذُ فِيْ الْكِتَابَةِ، وَالإِشْرَافُ عَلَىٰ الْصِّنَاعَةِ.

وَالْكِتَابُ هُوَ الْقُطْبُ الَّذِيْ عَلَيْهِ مَدَارُ عِلْمِ مَافِيْ الْعَالَمِ وَآدَابِ الْمُلُوْكِ، وَتَلْخِيْصُ الْأَلْفَاظِ وَالْغَوْصُ عَلَىٰ الْمَعَانِي الْسِّدَادِ.....). [(١)]

ذُكِرَتِ البُيوتَاتُ عِنْدَ الْخَلِيْفَةِ الأُمَوِيِّ: هِشَامِ بْنِ عَبْدِالمَلِكِ (ت ١٢٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ فَقَالَ: الْبَيْتُ مَا كَانَ لَهُ سَالِفَةٌ، وَلَاحِقَةٌ، وَعِمَادُ حَالٍ، وَمَسَاكُ دَهْرٍ. فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ بَيْتٌ قَائِمٌ.

أَرَادَ بِالْسَّالِفَةِ مَا سَلَفَ مِنْ شَرَفِ الْآبَاءِ، وَالْلَّاحِقَةِ مَا لَحِقَ مِنْ شَرَفِ الْأَبْنَاءِ، وَبِعِمَادِ الْحَالِ: الْثَّرْوَةُ، وَبِمَسَاكِ الدَّهْرِ: الْجَاهُ عِنْدَ الْسُّلْطَانِ. [(٢)]

فَالْحَسَبُ حَسَبُ الْنَّفْسِ، مَعَ الاعْتِدَادِ بِحَسَبِ الْآبَاءِ، وَاحْتِسَابِهَا كَمَا سَبَقَ فِيْ قَوْلِ ابْنِ جَرِيْرِ الْطَّبَرِيِّ، وَلَا يَصِحُّ تَرْكُ أَحَدِ الْأَمْرَيْنِ، **قَالَ عِزُّ الْدِّيْنِ الْأَزْدِيِّ الْمُهَلَّبِيُّ (ت ٦٤٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** (الاقْتِصَارُ عَلَىٰ مَآثِرِ

---

(١) «المودة والخلطة» = رسائله (٤/ ٢٠٤).

(٢) «الشكوى والعتاب» للثعالبي (ص٢٥٠) رقم (٧٦٨)، «ربيع الأبرار» للزمخشري (٤/ ١٠)، «التذكرة الحمدونية» (٢/ ٢٨).

الْجُدُوْدِ وَأَفْعَالِ الْآبَاءِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُضَافَ إِلَيْهَا مِنْ أَفْعَالِ النَّفْسِ؛ نَقْصٌ، وَتَرْكُ مَآثِرِ الْآبَاءِ مِنْ غَيْرِ اعْتِدَادٍ بِهَا؛ جَهْلٌ، وَالْجَمْعُ بَيْنَهُمَا؛ فَضْلٌ ...). [1]

بِمَا سَبَقَ ، وَغَيْرُهُ، حُقَّ لَنَا نَحْنُ الْحَمَادَىٰ أَوَّلاً، وَآلُ هُوَيْمِلٍ ثَانِيًا، وَآلُ أَبِي رَبَّاعٍ [2] = « أُشَيْقِرْ » ثَالِثًا، وَبَنُوْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ رَابِعًا أَنْ نَفْرَحَ بِالْأَحْسَابِ وَالْمُنْجَزَاتِ، وَنَتَحَدَّثَ عَنْهَا كُلِّهَا حَامِدِيْنَ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ ، شَاكِرِيْنَهُ مُثْنِيْنَ عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، مُصَلِّيْنَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ.

ثُمَّ شَاكِرِيْنَ كُلَّ مَنْ قَدَّم لِلْحَمَادَىٰ خَيْرًا مِنَ الْأَفْكَارِ وَالْمُخَطَّطَاتِ وَالْأَعْمَالِ الْجَلِيْلَةِ الصَّادِقَةِ الصَّالِحَةِ الْمُثْمِرَةِ خَيْرًا لِلْجَمِيْعِ، فَجَزَىٰ اللهُ خَيْرَ الْجَزَاءِ مَنْ قَدَّمَ لِلْحَمَادَىٰ خَيْرًا.

---

(١) « المآخذ علىٰ شراح ديوان أبي الطيب المتنبي» (٥/ ١٩٥).

(٢) آلُ أبي ربَّاع الذين خرجوا من بلدة « أشيقر» إلى « منطقة سدير» سنة (٨٠٠هـ تقريبًا)، ويوجد أسماء مشابهة في مناطق أخرىٰ من قبائل أخرىٰ، وليسوا من بكر بن وائل.

أيُّهَا الحمادي ـ أَسْعَدَكُمُ اللهُ فِيْ الدَّارَيْنِ ـ لَا يَظُنُّ أَحَدٌ مِنْكُمْ أَنَّ هَذَا الْمَوْضُوْعَ مِنْ بَابِ الْفَخْرِ بِالْأَحْسَابِ، الَّذِي وَرَدَ النَّهْيُ فِيْهِ، كَمَا فِيْ حَدِيْثِ أَبِيْ مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « **أَرْبَعٌ فِيْ أُمَّتِيْ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرُكُوْنَهُنَّ: الْفَخْرُ فِيْ الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِيْ الْأَنْسَابِ، وَالاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُوْمِ، وَالنِّيَاحَةُ...** ».(١)

هَذَا الْكِتَابُ « **الْحَمَادية** »، مَا ذُكِرَ مِنْ بَابِ الْفَخْرِ بِالْأَحْسَابِ(٢)، بَلْ

---

(١) أخرجه مسلم في « صحيحه» رقم (٩٣٤).

(٢) قال الزجاجي رَحِمَهُ اللَّهُ في « الأمالي» ـ ط. الغرب ـ (٣/ ١٣٦٣): (الحسب: الكرم والشرف، قال أهل اللغة: اشتقاق الحسَب من قولك: حسَبتُ الشئ إذا عددْتُه، فكأنه الذي يعُدُّ لنفسه مآثر وأفعالاً حسنة، أو يعُدُّ آباءً أشرافًا).

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ في « مشارق الأنوار» (١/ ٤٣١): (أصل الحسَب الأفعال الحَسَنةُ كأنها مَأخُوذَةٌ من الحِسَاب، كأنه تُحسَبُ لهُ خِصَالُه الكريمة.

وحسَبُ الرجُل آباؤه الكرام الذين تُعَدُّ مناقبُهم وتُحْسَبُ عِند المُفاخَرَة. والحَسْبُ والحَسَبُ: العَدُّ). قال ابن قتيبة رَحِمَهُ اللَّهُ في « أدب الكاتب» (ص٨٥): (الحسيب من الرجال الذي يَعُدُّ لنفسه مآثر وأفعالاً حسَنة، أو يعد آباء أشرافًا).

وفي «المصباح المنير» (١/ ١٣٤): (الحسَب: الفعال له ولآبائه، مأخوذ من الحِساب وهو عدُّ المناقب؛ لأنهم كانوا إذا تفاخروا حسَب كلُّ واحد مناقبَه ومناقبَ =

=

آبائه...).

قال أبو علي الحسن القيسي (ت في القرن ٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه « إيضاح شواهد الإيضاح» (١/ ٦٨) : (والمجد والكرم والشرف والحسب بمعنىٰ واحد، ومن الناس من فرَّق بينهما، فقال: الشرَف والمَجدُ لا يكونان إلا في الآباء والأجداد، والكرم والحسَبُ يوصف بهما الرجل الذي له آباء أشراف، ويوصف بهما الرجل أيضـًا الذي يشرُف بنفسِه.

وهذا التقدير تحكُّمٌ مِن قائله، لأن الشرفَ: مشتق من الإشراف والعلو، فكل مَن علا غيرَه بفَضْلٍ في نفسِه، أو في آبائه، فقد استَحَقَّ أن يُسمَّىٰ شَرِيفـًا.

وكذلك المَجْدُ: مِن قولهم: مَجَدَتْ الإبِلُ مُجُوداً إذا شَبِعَتْ مِن الكَلأ، وأمجَدَهَا صاحِبُها، فكُلُّ مَن كَثُرَتْ مَنَاقِبُه، وحَسُنَتْ أفعَالُه، فهُو مَاجِدٌ).

قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح الحديث كما في « فيض القدير» (١/ ٤٦٢) : (أي الشرفُ بالآباء، والتعاظم بعَدِّ مناقِبهم ومآثرهم وفضائلهم؛ وذلك جَهْلٌ، فلا فَخْرَ إلا بالطاعة ولا عِزَّ لأَحَدٍ إلا بالله. والأحسَابُ: جمع حسَبٍ وهو: ما يعُدُّه المرءُ مِن الخصال لَهُ أو لآبائهِ مِن نحوِ شجَاعَةٍ وفَصَاحَةٍ).

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله رَحِمَهُ ٱللَّهُ في « تيسير العزيز الحميد» (ص٣٨٩) في شرح الحديث: (أي: التشرف بالآباء والتعاظم بعدِّ مناقبهم ومآثرهم وفضائلهم، وذلك جهل عظيم، إذ لا شرَف إلا بالتقوىٰ كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ﴾.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾ . وروىٰ أبو داود عن أبي هريرة

=

لِأَهْدَافٍ سَبَقَ ذِكْرُهَا، وَلَوْ فُرِضَ أَنَّهُ مِنْ بَابِ الْفَخْرِ، فَهُوَ فِيْ الْفَخْرِ الْمَحْمُوْدِ بمَآثِرَ وَأَعْمَالِ الْأُسْرَةِ الْمُبَارَكَةِ، وَ بِالْنِّتَاجِ الْعِلْمِيِّ الْطَّيِّبِ لِلْحَمَادَىٰ، فَخْرَاً لَا يُقْصَدُ بِهِ الْتَّكَبُّرُ وَالْاسْتِعْلَاءُ وَالْرُّكُوْنُ إِلَيْهِ دُوْنَ الْجِدِّ وَالْاهْتِمَامِ فِيْ الْازْدِيَادِ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ الْتَّحَدُّثُ بِنِعْمَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَالْفَرَحُ بِفَضْلِهِ، وَالْتَّذَكِيْرُ بِالْخَيْرَاتِ؛ لِلْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا، وَالْازْدِيَادِ مِنْهَا، وَالْاسْتِفَادَةِ

=

مرفوعـًا: « إنَّ اللهَ قد أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية وفخرَها بالآباء مؤمنٌ تقِي، أو فاجرٌ شقي، الناسُ بنو آدم، وآدم من تراب، لَيَدَعَنَّ رجالٌ فخرَهم بأقوامٍ إنما هُم فَحْمٌ من فَحْمِ جهنم، أو ليكونن أهون علىٰ الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن ».

والأحساب جمع حسَب وهو ما يَعدُّه الإنسانُ له ولآبائه من شجاعة وفصاحة ونحو ذلك).

أفاد الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في « شرح كتاب التوحيد» (ص ٢٨٣) أن المنهي إذا كان للترفع علىٰ الناس، والتعاظم بين الناس.

قال الشيخ صالح الفوزان في « الملخص في شرح كتاب التوحيد» (ص٢٤٣) في معنى الفخر بالأحساب، أي: (التعاظم على الناس بالآباء ومآثرهم).

قلت: فعُلِم مما سبق أن المحذور في الفخر بالأحساب: إذا كان القصد التعاظم علىٰ الناس، والترفع عليهم، واحتقارهم. وانظر: « مرعاة المفاتيح» للمباركفوري (٥/ ٤٦٥)، وعنه: « البحر المحيط الثجاج» للأثيوبي (١٨/ ٢٦٣).

مِنْهَا، وَالْنَّفْعِ بِهَا، وَنَشْرِهَا .

قَـالَ الْطِّيْبِـيُّ (ت ٧٤٣هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (الْمُفَـاخَرَةُ نَوْعَـانْ: مَذْمُوْمَـةٌ وَمَحْمُـوْدَةٌ، فَالْمَـذْمُوْمُ مِنْهَـا مَـا كَـانَ عَلَيْـهِ الْجَاهِلِيَّـةُ مِـنَ الْفَخْـرِ بِالْآبَـاءِ وَالْأَنْسَابِ؛ لِلْسُّمْعَةِ وَالْرِّيَاءِ.

وَالْمَحْمُوْدُ مِنْهَا مَا ضُمَّ مَعَ الْنَّسَبِ الْحَسَبُ فِيْ الْدِّيْنِ، لَا رِيَاءً، بَلْ إِظْهَارَاً لِأَنْعُمِهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ). [(١)]

عَلَىٰ أَنَّ الْفَخْرَ لَيْسَ مَدْحَاً فِيْ كُلِّ صُوَرِهِ، نَعَمْ ذَكَرَ ابْنُ رُشَيْق (ت ٤٦٠هـ تَقْرِيْبَاً) أَنَّ الْفَخْرَ هُوَ الْمَدِيْحُ نَفْسُهُ، لَكِنْ ثَمَّةَ مَنْ خَالَفَ كَالْرَّافِعِيِّ وَذَكَرَ أَنَّ حَقِيْقَةَ الْفَخْرِ (لَيْسَتْ مَدْحَاً كَمَا قِيْلَ، وَلَكِنَّهَا تَارِيْخٌ، وَسَوَاءٌ فِيْ مَعْنَىٰ التَّارِيْخ فَضِيْلَةُ الْفَرْدِ وَفَضِيْلَةُ الْجَمَاعَةِ ....

وَعَلَىٰ هَذَا التَّأْوِيْلِ نَرَىٰ الْفَخْرَ فِطْرَةً فِيْ الْعَرَبِ، فَلَا يَكَادُ الْسَّيِّدُ مِنْهُمْ يَأْتِيْ عَمَلَاً إِلَّا تَنَاوَلَهُ شَاعِرُ قَبِيْلَتِهِ وَفَخَرَ بِهِ؛ لِأَنَّهُ لِسَانُ الْقَبِيْلَةِ وَمُؤَرِّخُ

---

(١) « شرح المشكاة » (١٠/ ٣١٤٥)، وانظر: « المنهاج في شعب الإيمان » للحَليمي (٣/ ١١)، و « مسبوك الذهب » لمرعي الكرمي (ص٥١-٥٢).

أَحْسَابِهَا، وَإِذَا فَخَرَ أَحَدُهُمْ بِفَضِيْلَةٍ فِيْ نَفْسِهِ كَالْشَّجَاعَةِ أَوْ الْكَرَمِ أَوْ غَيْرِهِمَا، فَإِنَّمَا يَكُوْنُ ذَلِكَ فِيْ مَعْرِضِ التَّذْكِيْرِ بِهَذِهِ الْفَضِيْلَةِ، وَاسْتِشْهَادِ التَّارِيْخِ الْحَيِّ عَلَيْهَا، أَوْ يَكُوْنُ تَوْطِيْنًا لِنَفْسِهِ وَتَحْمِيْسًا لَهَا بِمَا يُهَيِّجُ مِنْ كِبْرِيَائِهَا، كَمَا يُغَنِّيْ الْشُّجَاعُ فِيْ الْحَرْبِ، وَكَمَا يُنَبِّهُ عَنْ نَفْسِهِ عِنْدَ الْضَّرْبَةِ الْقَاضِيَةِ وَالْطَّعْنَةِ الْنَّافِذَةِ؛ وَهَذَا هُوَ بَابُ الْحَمَاسَةِ). [(١)]

وَالْصَّوَابُ ـ وَاللهُ أَعْلَمُ ـ أَنَّ الْفَخْرَ لَايَأْخُذُ حُكْمًا وَاحِدًا مَدِيْحًا أَوْ غَيْرَهُ، وَإِنَّمَا يُحْكَمُ عَلَيْهِ حَسَبَ بَاعِثِهِ، وسِيَاقِهِ، وَالْقَرَائِنِ الْمُحْتَفَّةِ بِالْقَائِلِ وَالْمَقُوْلِ وَالْحَالِ؛ فَمِنْهُ: مَا هُوَ مَدْحٌ مَحْمُوْدٌ، وَمِنْهُ مَاهُوَ مَدْحٌ مَذْمُوْمٌ، وَمِنْهُ مَا هُوَ عَرْضٌ تَارِيْخِيٌّ مُجَرَّدٌ لا يُقْصَدُ فِيْهِ الْمَدِيْحَ، وَرُبَّمَا يَأْتِيْ الْفَخْرُ وَيُقْصَدُ بِهِ أَوَّلَ مَا يُقْصَدُ الْهِجَاءُ، كَمَنْ يُعَدِّدُ مَفَاخِرَ جَمَاعَةٍ فِيْ مَعْرِضِ الْحَدِيْثِ عَنْ جَمَاعَةٍ أُخْرَىٰ...

وَالْحَدِيْثُ هُنَا عَنْ مَآثِرِ الْحَمَادَىٰ، وَنِتَاجِهِم الْعِلْمِيِّ، جَاءَ لِلْدِّلَالَةِ وَالإِرْشَادِ، وَنَشْرِ الْعِلْمِ، وَتَذْكِيْرِ الْخَلَفِ مِنَ الْأُسْرَةِ بِفِعْلِ الْسَّلَفِ مِنْهَا،

---

(١) « العمدة» (٢/ ٨٢٤)، « تاريخ آداب العرب» (٣/ ٦٩).

وَعَرْضٍ لِلتَّارِيْخِ؛ خَاصَّةً أَنَّ ثَمَّةَ كِتَابًا يُؤَلَّف عَنْهَا ـ كَمَا سَبَقَ ـ .

وَغَالِبُ هَـذِهِ الْمَـآثِرُ فِـيْ هَـذَا الْتِّـاجِ إِنَّمَـا هِـيَ لِلْمُعَاصِـرِيْنَ، تُـذْكَرُ فَتُشْكَرُ ــ بَعْدَ حَمْدِ اللهِ وَشُكْرِهِ ــ ، وَلِتُظْهِرَ اتِّصَالَ الْخَيْرِ مِنَ الْأَسْلَافِ الْصَّالِحِيْنَ، وَالْفَضْلُ أَوَّلاً وَآخِراً وَظَاهِراً وَبَاطِنًا مِنَ اللهِ الْكَرِيْمِ الْوَهَّاب، فَرَحْمَـةُ اللهِ وَمَغْفِرَتُـهُ وَعَافِيَتُـهُ عَلَـىٰ الْجَـدِّ : الْحُمَيْـدِيِّ بْـنِ حَمَـدٍ (ت ١٠٩٥ هـ تقريبًا) وَعَقِبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

ذَكَرَ الْحَسَنُ الْيُوْسِيُّ (ت ١١٠٢ هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ الْنَّاسَ فِيْ الْفَخْرِ بِالْحَسَبِ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ، مُلَخَّصُهَا:

١. رَجُلٌ كَانَ أَصْيْلاً ثُمَّ قَامَ هُوَ أَيْضًا يُشِيْدُ بُنْيَانَهُ، وَيَحُوْطُ بُسْتَانَهُ، كَالَّذِيْ قَبْلَهُ، فَهَذَا أَكْرَمُ النَّاسِ وَأَوْلَاهُمْ بِكُلِّ مَفْخَرَةٍ.

٢. وَرَجُلٌ لَا أَصْلَ لَهُ يَنْتَمِيْ إِلَيْهِ، وَلَا حَسَبَ يُعَرِّجُ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ انْتَهَضَ فِـيْ اقْتِنَاءِ الْمَآثِرِ، وَاقْتِنَاصِ الْمَفَاخِرِ، حَتَّىٰ اشْتُهِرَ بِمَحَاسِنِ الْخِلَالِ، وَصَارَ فِيْ عِدَادِ أَهْلِ الْكَمَالِ، وَأَنْشَدَ لِسَانُ حَالِهِ فَقَالَ:

وَبِنَفْسِيْ شَرُفْتُ لَا جُدُوْدِيْ[1]

---

(١) للمتنبي، وصدره: لا بقومي شرفتُ بل شرفوا بي ❊

فَهَذَا أَحْرَىٰ أَنْ يَشْرُفَ بِوَصْفِهِ وَحَالِهِ، وَأَنْ يَشْرُفَ بِهِ مَنْ بَعْدَهُ، وَأَنْ يَكُوْنَ هُوَ أَسَاسُ بَيْتِهِ، وَعِرْقُ شَجَرَتِهِ.

٣. وَرَجُلٌ لَهُ أَصْلٌ، وَقَدِيْمُ شَرَفٍ، ثُمَّ لَمْ يَبْنِهِ، وَلَمْ يُجَدِّدْهُ، وَهُوَ: **إِمَّا أَنْ تَخْفَىٰ** عَوَامِلُهُ فَلَمْ يُبْنَ وَلَمْ يُهْدَمْ، مَعَ أَنَّهُ بِالْحَقِيْقَةِ مَنْ لَمْ يَكُنْ فِيْ زِيَادَةٍ فَهُوَ فِيْ نُقْصَانٍ، وَالْمُرَادُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَىٰ غِمَارِ النَّاسِ فَلَا يُجَدِّدُ الْمَآثِرْ، وَلَا يَخْرُجْ إِلَىٰ الْمَعَايِبِ، فَهَذَا لَا فَضِيْلَةَ لَهُ إِلَّا مُجَرَّدُ النَّسَبِ وَالْفَخْرُ الْعِظَامِيُّ كَمَا مَرَّ.

وَإِمَّا أَنْ يَهْدِمْهُ بِمُلَابَسَةِ ضِدِّ مَا كَانَ أَوَّلَاً، فَهَذَا بِمَنْزِلَةِ مَنْ هَدَمَ الدَّارَ ثُمَّ حَفَرَ الْبُقْعَةَ أَيْضَاً فَأَفْسَدَهَا؛ فَهَذَا مَذْمُوْمٌ بِمَا جَنَىٰ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَبِمَا جَنَىٰ عَلَىٰ حَسَبِهِ وَنَسَبِهِ...).[(١)]

هَذَا، وَقَدْ رَدَّ الرَّاغِبُ الْأَصْبَهَانِيُّ (ت ٥٠٢هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ لَا يَرَىٰ الْاعْتِدَادَ بِشَرَفِ الْآبَاءِ، وَذَكَرَ أَنَّ «كَرَمَ الْأَعْمَامِ وَالْأَخْوَالِ مَخِيْلَةٌ لِكَرَمِ الْمَرءِ وَمَظِنَّةٌ لَهُ، فَالْفَرْعُ وَإِنْ كَانَ قَدْ يَفْسُدُ أَحْيَانَاً، فَمَعْلُوْمٌ أَنَّ أَصْلَهُ

---

(١) «المحاضرات في اللغة والأدب» (١/ ٦٧ ـ ٧٦) مختصراً.

يُوْرِثُهُ الْفَضِيْلَةَ وَالرَّذِيْلَةَ، فَإِنَّهُ لَا يَكُوْنُ مِنَ النَّخْلِ الْحَنْظَلُ، وَلَا مِنَ الْحَنْظَلِ النَّخْلُ، وَلِذَلِكَ قَالَ الشَّاعِرُ:

وَمَا يَكُ مِنْ خَيْرٍ أَتَوْهُ فَإِنَّمَا * تَوَارَثَهُ آبَاءُ آبَائِهِمْ قَبْلُ
وَهَلْ يُنْبِتُ الْخَطِّيَّ إِلَّا وَشِيْجُهُ * وَتُغْرَسُ إِلَّا فِيْ مَنَابِتِهَا النَّخْلُ[(١)]

وَقِيْلَ:

إِنَّ السَّرِيَّ إِذَا سَرَىٰ فَبِنَفْسِهِ * وَابْنَ السَّرِيِّ إِذَا سَرَىٰ أَسْرَاهُمَا

وَيُبَيِّنُ ذَلِكَ: أَنَّ الْأَخْلَاقَ نَتَائِجُ الْأَمْزِجَةِ، وَمِزَاجُ الْأَبِ كَثِيْرَاً مَا يَتَأَدَّىٰ إِلَىٰ الابْنِ، كَالْأَلْوَانِ وَالْخَلْقِ وَالصُّوَرِ....

ثُمَّ ذَكَرَ الْأَصْبَهَانِيُّ أَنَّ عَلَىٰ الإِنْسَانِ أَنْ يَسْعَىٰ لِاقْتِبَاسِ الْعُلَىٰ، وَأَنْ لَا يَقْتَصِرَ عَلَىٰ مَآثِرِ الْآبَاءِ، وَأَنَّ الْمَآثِرَ الْمَوْرُوْثَةِ قَلِيْلَةُ الْغَنَاءِ، سَرِيْعَةُ الْفَنَاءِ، مَا لَمْ تُضَامَّهَا فَضِيْلَةُ النَّفْسِ[(٢)]، لِأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يُحْمَدُ لِكَي يُوْجَدَ الْفَرْعُ

---

(١) البيتان لزهير بن أبي سُلمىٰ، انظر «ديوانه» (ص٨٣).

(٢) قال الماوَرْدي (ت ٤٥٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أدب الدنيا والدين» (ص ٥٠٥) ضمن كَلامٍ جَميلٍ عن شَرَفِ النَّفْس: (.... فأما شَرَفُ النَّفسِ إذا تجرَّد عن عُلُوِّ الهِمَّة، فإنَّ الفضلَ به عاطِل، والقَدْرَ به خاملٌ، وهو كالقوة في الجَلْد الكَسِل، أو الجبَان الفَشِل، تضيعُ قُوَّتُه بكسَلِه، وجَلَدُه بفَشَلِه...).

مِثلَهُ؛ وَمَتَىٰ أَخْلَفَ الْفَرْعُ وَتَخَلَّفَ؛ فَإِنَّهُ يُخْبِرُ بِأَحَدِ شَيئَيْنِ: إِمَّا بِتَكْذِيْبِ مَنْ يَدَّعِي الْشَّرَفَ لِعُنْصُرِهِ، وَإِمَّا بِتَكْذِيبِهِ فِيْ انْتِسَابِهِ إِلَىٰ ذَلِكَ الْعُنْصُرِ، وَمَا فِيْهِمَا حَظٌّ لِمُخْتَارٍ .

وَالْمَحْمُودُ أَنْ يَكُوْنَ الْأَصْلُ فِيْ الْفَضَائِلِ رَاسِخًا، وَالْفَرْعُ بِهِ شَامِخًا، كَمَا قَالَ الْشَّاعِرُ:

زَانُوا قَدِيمَهُمُ بِحُسْنِ حَدِيثِهِمْ ❊ وَكَرِيْمَ أَخْلَاقٍ بِحُسْنِ خِصَالِ

وَمَنْ لَمْ يَجْتَمِعْ لَهُ الأَمْرَانُ؛ فَلَأَنْ يَكُوْنَ الْمَرْءُ شَرِيْفَ الْنَّفْسِ دَنِيءَ الْأَصْلِ، أَوْلَىٰ مِنْ أَنْ يَكُوْنَ دَنِيءَ الْنَّفْسِ شَرِيْفَ الْأَصْلِ، كَمَا قِيْلَ:

إِذَا الْغُصْنُ لَمْ يُثمِرْ وَإِنْ كَانَ شُعْبَةً ❊ مِنَ الْمُثمَرَاتِ اعْتَدَّهُ النَّاسُ فِيْ الحَطَبِ

فَمَا الْحَسَبُ المَوْرُوثُ لَا دَرَّ دَرُّهُ ❊ بِمُحْتَسَبٍ إِلَّا بِآخَرَ مُكْتَسَبِ

وَمَنْ كانَ عُنْصُرُهُ فِيْ الْحَقِيقَةِ سَنِيًّا وَفِي نَفْسِهِ دَنِيًّا؛ فَذَلكَ أُتِيَ إِمَّا مِنْ إِهْمَالِهِ نَفْسَهُ وَسَوْمَهَا، وَإِمَّا لِتَعَوُّدِهِ عَادَاتٍ قَبِيْحَةً، وَصُحْبَةِ أَشْرَارٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْعَوَارِضِ الْمُفْسِدَةِ لِلْعَنَاصِرِ الْكَرِيْمَةِ فَلَيْسَ سَبَبُ الرَّذِيْلَةِ

شَيْئَـاً وَاحِدَاً). (١)

الْحَسَبُ الَّذِي يُحْمَدُ بِهِ الْإِنْسَانُ: مَا تَحَلَّىٰ بِهِ مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ فِيْ نَفْسِهِ، لَا مَا يَعُدُّهُ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْخَارِجَةِ عَنْهُ. (٢) ، « مَنْ قَعَدَ بِهِ أَدَبُهُ، لَمْ يَرْفَعْهُ حَسَبُهُ » (٣)، وَ« مَنْ قَصَّرَ بِه نَسَبُهُ، نَهَضَ بِهِ أَدَبُهُ» (٤)، وَمَنْ فَاتَهُ حَسَبُ نَفْسِهِ، لَمْ يَنْفَعْهُ حَسَبُ أَبِيْهِ. (٥) وَ« شَرَفُ الْأَعْرَاقِ يَحْتَاجُ إِلَىٰ

---

(١) « الذريعة الىٰ مكارم الشريعة» للراغب الأصبهاني (ص ١١٢ـ١١٣) ، و « فيض القدير» للمُناوي (٤/ ١١١).

(٢) « الميسر في شرح المصابيح» للتوربشتي (٢/ ٤٠٤). قُلْتُ: هَذَا الَّذِي يُحْمَدُ عَلَيْهِ الإنسان: حَسَبُ نَفسِهِ، أمَّا الاعْتِدَادُ فِيهِ أوَّلاً وأَصْلاً ، وبِحَسَبِ آبَائِه أيْضَاً ــ كما سَبَقَ ــ .

(٣) روي عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما في « الأمالي» للزجاجي (ص١٣٦).

(٤) قال الزجاجي رَحِمَهُ اللَّهُ في « أماليه» ـ ط. الغرب ـ (٢/ ٢٨٧): أخبرنا ابن دُريد، قال: أخبرنا أبو حاتم، قال: سمعتُ الأصمعي كثيراً ما يقول: فذكره.

(٥) قاله قِسُّ بن ساعدَة. « العِقد» لابن عبدربه (٢/ ٢٩٠)، ونُسِب إلىٰ ميمون بن ميمون كما في « عيون الأخبار» (١/ ٢٩٦).

وانظر للفائدة: « نقد الشعر » لقدامة (ص٧٢)، « العمدة» لابن رشيق (٢/ ٨٢٦).

شَرَفِ الْأَخْلَاقِ، وَلَا حَمْدَ لِمَنْ شَرُفَ نَسَبُهُ وَسَخُفَ أَدَبُهُ ».(١)

رُوِيَ عَنْ هَاشِمٍ جَدِّ الْنَّبِيِّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلُهُ: « ... عَلَيْكُمْ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ فَإِنَّها رِفْعَةٌ، وَإِيَّاكُمْ وَالْأَخْلَاقَ الْدَّنِيْئَةَ فَإِنَّهَا تَضَعُ الْشَّرَفَ وَتَهْدِمُ الْمَجْدَ ».(٢)

وإِذَا الفَتَىٰ هَبَطَتْ بِهِ أفْعَالُهُ ❋ لَمْ تُعْلِهِ الآبَاءُ وَالأجْدَادُ (٣)

قَالَ عَبْدُاللهِ بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَبْدِاللهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لَسْنَا وَإِنْ كَرُمَتْ أَوَائِلُنَا ❋ يَوْمًا عَلَىٰ الْأَحْسَابِ نَتَّكِلُ

نَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا ❋ تَبْنِي وَنَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوْا (٤)

---

(١) « غرر الخصائص الواضحة» (١/ ١٩).

(٢) « الأمالي» للزجاجي ــ ط. الغرب ــ (٣/ ١٣٥٩)، «أعلام النبوة» للماوردي (ص١٩٣).

(٣) « الدر الفريد وبيت القصيد» لابن أيدمر المستعصمي (ت ٧١٠هـ) (٦/ ٤٤٢).

(٤) « الحيوان» (٧/ ٩٥) ، « الكامل» للمبرد (١/ ٢١١)، « العقد الفريد» (٢/ ٢٩٠)، « التذكرة الحمدونية» (٢/ ٦٧).

قَالَ الْشَّاعِرُ:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَبْنِ افْتِخَارَاً لِنفْسِهِ * تَضَايَقَ عَنْهُ مَا ابْتَنَتْهُ جُدُودُهُ
وَلَا خَيْرَ فِيْ مَن لَا يَكُوْنُ طَرِيْفُهُ * دَلِيْلَاً عَلَىٰ مَا شَادَ قِدْمَاً تَلِيْدُهُ [١]

وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ (ت ٥٩٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ : الحَسَبُ إِذا انْفَرد لَمْ يُعْتَبر، وَإِنَّمَا يُعْتَبر إِذَا انْضَمَّ إِلَيْهِ الْإِسْلَامُ وَالتَّقْوَىٰ. [٢]

قَالَ أَرْدَشِيْرُ بْنُ بَابِكَ: (أَرْبَعَةٌ تَحْتَاجُ إِلَىٰ أَرْبَعَةٍ: الْحَسَبُ إِلَىٰ الْأَدَبِ، وَالْسُّرُوْرُ إِلَىٰ الْأَمْنِ، وَالْقَرَابَةُ إِلَىٰ الْمَوَدَّةِ، وَالْعَقْلُ إِلَىٰ الْتَّجْرِبَةِ). [٣]

قَالَ ابْنُ حَزْمٍ الْأَنْدَلُسِيِّ (ت ٤٥٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي حَدِيْثٍ عَنْ الْافْتِخَارِ بِالآبَاءِ دُوْنَ أَنْ يَضُمَّ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ شَرَفِهِمْ عَمَلَاً مُشَرِّفَاً : (فَإِنْ

---

(١) « محاضرات الأدباء» للراغب (١/ ٧٠٥).

(٢) « كشف المشكل من حديث الصحيحين» (٤/ ١٥٦)، وانظر: « الدين الخالص» لصديق خان (٤/ ٤٣٣).

(٣) « التمثيل والمحاضرة» (ص٤٧١)، « بهجة المجالس » (٣/ ١٣٢)، « ربيع الأبرار» (٣/ ٤٥٧)، « التذكرة الحمدونية» (٣/ ٢٧١).

أُعْجِبْتَ بِوِلَادَةِ الْفُضَلَاءِ إِيَّاكَ، فَمَا أَخْلَىٰ يَدَكَ مِنْ فَضْلِهِمْ إِنْ لَمْ تَكُنْ أَنْتَ فَاضِلاً ! وَمَا أَقَلَّ غِنَاؤُهُمْ عَنْكَ فِيْ الْدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِنْ لَمْ تَكُنْ مُحْسِنًا !

وَالْنَّاسُ كُلُّهُمْ أَوْلَادُ آدَمَ الَّذِيْ خَلَقَهُ اللهُ ـ تَعَالَىٰ ـ بِيَدِهِ، وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ وَأَسْجَدَ لَهُ مَلَائِكَتَهُ؛ وَلَكِنْ مَا أَقَلَّ نَفْعَهُ لَهُمْ وَفِيهِمْ كُلُّ مَعِيْبٍ، وَكُلُّ فَاسِقٍ، وَكُلُّ كَافِرٍ.

وَإِذَا فَكَّرَ الْعَاقِلُ فِيْ أَنَّ فَضْلَ آبَائِهِ لَا يُقَرِّبُهُ مِنْ رَبِّهِ ـ تَعَالَىٰ ـ وَلَا يُكْسِبُهُ وَجَاهَةً لَمْ يَحُزْهَا هُوَ بِسَعْدِهِ أَوْ بِفَضْلِهِ فِيْ نَفْسِهِ، وَلَا مَالاً؛ فَأَيُّ مَعْنَىٰ لِلْإِعْجَابِ بِمَا لَا مَنْفَعَةَ فِيْهِ ؟!

وَهَلْ الْمُعْجَبُ بِذَلِكَ إِلَّا كَالْمُعْجَبِ بِمَالِ جَارِهِ، وَبِجَاهِ غَيْرِهِ، وَبِفَرَسٍ لِغَيْرِهِ سَبَقَ كَانَ عَلَىٰ رَأْسِهِ لِجَامُهُ..... إلخ).[(١)]

قَالَ الْشَّيْخُ : عَبْدُالرَّحْمَنِ الْجَزِيْرِيُّ (ت ١٣٦٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ فِيْ حَدِيْثِهِ عَنْ الْتَّكَبُّرِ عَلَىٰ الْنَّاسِ لِأَجْلِ الْنَّسَبِ: (هَذِهِ الْصِّفَةِ تَكُوْنُ كَالْعَدَمِ،

(١) « الأخلاقُ والسِّيَر» تحقيق : إيفا (ص ١٦٤ ـ ١٦٥).

وانظر: « الدين الخالص» لصِدِّيْق خَان القنُّوجِي (٤/ ٤٢٨ ـ ٤٤٥) ففيه مبحث طويل عن الفخر بالنسب، وهو جَيِّدٌ في الجملة، رغم تضمنه بعض الأقوال المنكرة.

إِذَا لَمْ يَتَجَمَّلْ صَاحِبُهَا بِالْفَضِيْلَةِ، وَأَنْ الْكِبْرَ هُوَ أَشَدُّ الرَّذَائِلِ الَّتِي تُذْهِبُ بِمَحَاسِنِ تِلْكَ الصِّفَاتِ وَتَقْضِيْ عَلَيْهَا.

فَمَنْ اغْتَرَّ بِنَسَبِهِ وَتَكَبَّرَ عَلَى النَّاسِ؛ فَقَدْ هَدَمَ ذَلِكَ النَّسَبَ مِنْ أَسَاسِهِ، وَقَضَى عَلَى فَضْلِ آبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ شَرَّ قَضَاءٍ؛ لِأَنَّ الْحَمْدَ وَتَكْرِيْمَ النَّاسِ لَا يُكْسَبَانِ بِالْأَنْسَابِ وَحْدَهَا، بَلْ بِالتَّمَسُّكِ بِالْفَضِيْلَةِ وَاجْتِنَابِ الرَّذِيْلَةِ، وَكَذَلِكَ مَاعِنْدَ اللهِ مِنْ مَنْزِلَةٍ فَإِنَّهُ لَا يُكْسَبُ بِالْأَنْسَابِ، لِهَذَا قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ (سورة الحجرات، آية ١٣)، نَعَمْ إِنَّ لِلْأَنْسَابِ فَضْلاً فِيْ تَكْوِيْنِ خُلُقِ الْإِنْسَانِ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَصْلٍ طَيِّبٍ وَعُنْصُرٍ كَرِيْمٍ؛ كَانَتْ أَخْلَاقُهُ حَسَنَةً وَصِفَاتُهُ كَرِيْمَةً؛ وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ تُحْتَرَمُ الْأَنْسَابُ، وَيَكُوْنُ لِصَاحِبِهَا فَضْلٌ عَلَى غَيْرِهِ...).[1]

قُلْتُ: فَاحْتِرَامُهُ لَيْسَ لِأَجْلِ النَّسَبِ وَحْدَهُ، بَلْ لِمَا أَثْمَرَهُ مِنْ خَيْرٍ، فَالْأَنْسَابُ مَظِنَّةُ الْخَيْرِ، وَلَيْسَتْ خَيْرَاً بِذَاتِهَا ، قَالَ الْيُوسِيُّ (ت ١١٠٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كَرَمُ النَّسَبِ فَضِيْلَةٌ... وَوَصْفُ الْإِنْسَانِ وَسَعْيُهُ هُوَ الشَّأْنُ،

---

(١) «الأخلاق الدينية والحِكَم الشرعية» (ص ١٥٤-١٥٥).

وَالْنَّسَبُ زِيَادَةٌ، فَإِلْغَاءُ الْنَّسَبِ رَأَسًا جَوْرٌ؛ وَالْاقْتِصَارُ عَلَيْهِ عَجْزٌ ... فَعَلَيْهِ مَعَ الْنَّسَبِ أَنْ يُحَصِّلَ الْحَمْدَ وَيَبْتَنِيَ الْمَجْدَ).[1]

أيُّهَا الحمادي ، أَنْتُمْ حَمَادَىٰ، لَكُمْ صِيْتٌ فِيْ النَّاسِ[2]، وَأَرَىٰ الذِّكْرَ الْحَسَنَ فِيكُمْ هَالَةً لَامِعَةً، والْشَّرَفَ فِيكُمْ مُتَرَبِّعًا وَسَطًا جَامِعَةً

---

(١) « المحاضرات في اللغة والأدب» للحسن اليوسي (١/ ٦٤ـ ٦٥) بتصرف.

(٢) الصِّيْتُ: هو الذِّكْرُ الحَسَنُ، يُقَال : ذَهَبَ صِيْتُه إذا انتَشَر. انظر: « مقاييس اللغة» (٣/ ٣١٩)، « القاموس المحيط» (ص١٥٥). قال الغزي (ت ١٠٦١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في « حُسْن التنبُّه» (٤/ ٣٩١): (إنما سُمِّي الصِّيْتُ صِيتاً؛ لأنَّ الأصوَات ترفع به في الناس...).

فَائِدَةٌ: حِيْنَمَا تُوْصَفُ الْجُدُوْدُ ـ أيُّ جُدُودٍ ـ بِالْصِّيتِ، وَالْشُّهْرَةِ الْحَسَنَةِ، فَهُوَ اشْتِهَارٌ نِسْبِيٌّ، وَلَيْسَ مَعْنَاهُ اشْتِهَارُهُ عِنْدَ عَامَّةِ الْنَّاسِ فِي الْبِلَادِ، بَلْ الْمَقْصُوْدُ أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ: مَعْرِفَةُ الْعَشِيْرَةِ وَالْفَخِذِ وَأَهْلِ الْبَلْدَةِ الَّتِي كَانُوْا فِيْهَا، وَمَا أَبْقَوْهُ مِنْ أَثَرٍ وَمَعَالِمَ مُنِيْرَةٍ، قَالَ الْحَسَنُ الْيُوْسِيُّ (ت ١١٠٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي « الْمُحَاضَرَاتِ» (١/ ٦٨) : (... وَلَا شَكَّ أَنَّ شَرَفَ الْإِنْسَانِ وَاشْتِهَارَهُ بِاعْتِبَارِ عَشِيْرَتِهِ أَوْ قَوْمِهِ إِنَّمَا يُعْرَفُ فِيْهِمْ وَلَا يَضِيْرُهُ أَلَّا يَعْرِفَهُ غَيْرُهُمْ ؛ لِأَنَّ سَادَاتِ الْعَرَبِ لَا يَعْرِفُهُمْ الْعَجَمُ، وَلَا الْعَكْسُ، وَكَذَا فِيْمَا بَيْنَ الْعَرَبِ غَالِبًا ..).

ـ وَللهِ الْحَمْدُ وَالْفَضْلُ والمِنَّةُ ـ، فَارْعَوْا مَكَانَهَ، وَتمِّمُوا مَرَامَهُ، وَكُوْنُوْا عَلَىٰ الْعَهْدِ وَالْوَفَاءِ بِتعَاهُدِ وَحَمْلِ الْمَآثِرِ الْمُبَارَكَةِ إِلَىٰ الْأَبْنَاءِ، فَأَعْظَمُ مَا تُوَرِّثُوْنَ أَحْفَادَكُمْ: دِينًا قَوِيمًا، وَصَلَاحًا وَمُرُوْءَةً، وَعِلْمًا وَأَدَبًا مَتِيْنًا، هَـذِهِ هِـيَ الْمَآثِرِ الْمَجِيْدَةِ، وَهَذَا الذِّكْرُ الْحَسَنُ، فَادْعُوْا اللهَ عَزَّوَجَلَّ ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ (سورة الشعراء، آية ٨٤).

قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِيْنَ فِيْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾ (سورة ص، آية ٤٩) أَيْ: لَهُمْ مَعَ الذِّكْرِ الحَسَنِ فِيْ الدُّنْيَا، حُسْنُ مَرْجِعٍ في الآخِرَةِ .[1]

وَقِيْلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ: مَا أَحْمَدُ الْأَشْيَاءِ؟ قَالَ: أَنْ يَبْقَىٰ لِلْإِنْسَانِ أُحْدُوْثَةٌ حَسَنَةٌ.[2]

قَالَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ (ت ٦٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (مَا ادَّخَرَ الْآبَاءُ لِلْأَبْنَاءِ، وَلَا أَبْقَتِ الْأَمْوَاتُ لِلْأَحْيَاءِ، أَفْضَلَ مِنْ الْمَعْرُوْفِ عِنْدَ ذَوِيْ الْأَحْسَابِ

---

(١) قاله النحاس في «معاني القرآن» (٦/ ١٢٦).

(٢) «شرح مقامات الحريري» للشُّريشي (٣/ ١١٣).

وَالْآدَابِ). [(١)]

وَمِنْ الْوَصايا: لا تُؤْثِرُوا المَالَ عَلَىٰ الذِّكْرِ الحَسَنِ؛ فَإِنَّ الْمَالَ فَانٍ، وَالذِكْرَ بَاقٍ. [(٢)]

قَالَ أَبُوْ يَعْلَىٰ ابْنُ الْهَبَّارِيَّةِ الْعَبَّاسِيُّ الْبَغْدَادِيُّ:

الْمَالُ فَانٍ وَالذِّكْرُ بَاقٍ * وَالْوَفْرُ فَرْعٌ وَالْعِرْضُ أَصْلُ
فَاجْعَلْهُ دُوْنَ الْعِيَالِ سَتْرَاً * فَالصَّوْنُ فِيْ أَنْ يَكُوْنَ بَذْلُ [(٣)]

قَالَ الْمَعَرِّيُّ :

وَلَنْ يُحْوَىٰ الثَّنَاءُ بِغَيْرِ جُوْدٍ * وَهَلْ تُجْنَىٰ مِنَ الْيَبَسِ الثِّمَارُ؟
جَمَالُ الْمَجْدِ أَنْ يُثْنَىٰ عَلَيْهِ * وَلَوْلَا الشَّمْسُ مَا حَسُنَ النَّهَارُ [(٤)]

---

(١) « غرر الخصائص الواضحة» (١/ ٥٧٠).

(٢) « الثبات عند الممات» لابن الجوزي (ص٩٥).

(٣) « خريدة القصر» للعماد الأصبهاني ـ تحقيق : بهجة الأثري ـ (العراق ٢/ ٨٨).

(٤) « سقط الزند» (ص١٣٣).

قَالَ الْحَسَنُ الْيُوْسِيُّ (ت ١١٠٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (اعْلَمْ أَنَّ مَا أَشَرْنَا إِلَيْهِ مِنَ الْمَزَايَا الَّتِي يَتَشَرَّفُ بِهَا الْإِنْسَانُ حَتَّىٰ يَشْرُفَ بِشَرَفِهِ مَنْ انْتَسَبِ إِلَيْهِ كَثِيْرَةٌ، مِنْهَا:

دِيْنِيَّةٌ: كَالْنُّبُوَّءَةِ وَهِيَ أَجَلُّهَا، وَكَالْعِلْمِ، وَالْصَّلَاحِ، وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَدُنْيَوِيَّةٌ: كَالْمُلْكِ، وَهُوَ أَعْظَمُهَا، وَكَالْنَّجْدَةِ، وَالْكَرَمِ، وَالْقُوَّةِ، وَكَثْرَةِ الْعَدَدِ، وَكَثْرَةِ الْمَالِ، وَالْجَمَالِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَكَثِيْر مِنْهَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُوْنَ دِيْنِيًّا وَدُنْيَوِيًّا: كَالْقُوَّةِ، وَالْعِزِّ، وَالْكَرَمِ، وَسَائِرِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ.

وَبَعْضُهَا دِيْنِيٌّ وَدُنْيَوِيٌّ مَعًا: كَالْنُّبُوءَةِ، وَالْخِلَافَةِ، وَالْعِلْمِ.

وَبَعْضُ ذَلِكَ حِسِّيٌّ، وَبَعْضُهُ مَعْنَوِيٌّ، وَبَعْضُهُ وُجُوْدِيٌّ، وَبَعْضُهُ عَدَمِيٌّ، وَشَرْحُ ذَلِكَ يَطُوْلُ فَلْنَقْتَصِرْ الْقَوْلَ مَعَ تَمْثِيْلٍ وَتَمْهِيْدٍ: أَمَّا الْتَّمْثِيْلُ فَهُوَ أَنَّهُ لَوْ اعْتُبِرَ رَجُلَانِ مُتَسَاوِيَانِ فِيْ الْخَلْقِ وَالْخُلُقِ وَالْنَّسَبِ وَسَائِرِ الْأَحْوَالِ فَلَا مَزِيَّةَ لِأَحَدِهِمَا عَلَىٰ الْآخَرِ، وَفِيْ مِثْلِهِمَا قَالَ عَلْقَمَةَ بْنُ عُلَاثَةَ لِلْمُتَنَافِرَيْنِ: صِرْتُمَا كَرُكْبَتَيْ الْبَعِيْرِ الْآدَمِ .

وَلَوْ اخْتُصَّ أَحَدُهُمَا بِالْفِقْهِ فَهَذِهِ مَزِيَّةٌ وُجُودِيَّةٌ يَفْضُلُ بِهَا الْآخَرُ، وَلَوْ اخْتُصَّ أَحَدُهُمَا بِكَوْنِهِ ظَلُوْمًا فَهَذِهِ مَزِيَّةٌ مَذْمُوْمَةٌ عِنْدَ أَهْلِ الشَّرْعِ [١]، وَقَدْ سَلِمَ مِنْهَا الْآخَرُ، فَلَهُ الْفَضْلُ بِمَزِيَّةٍ هِيَ عَدَمِيَّةٍ، وَعِنْدَ الْجَاهِلِيَّةِ بِعَكْسِ هَذَا....إلخ).[٢]

قَالَ الرَّاغِبُ الْأَصْبَهَانِيُّ (ت ٥٠٢ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (مَحَبَّةُ الذِّكْرِ الْحَسَنِ أَشْرَفُ مَقَاصِدِ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، وَهِيَ فِيْ جِبِلَّةِ النَّاسِ[٣] وَمِنْ خَصَائِصِهِمْ [٤]، وَلَا تُوْجَدُ فِيْ غَيْرِهِ مِنَ الْحَيَوَانِ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

.... ❊ حُبُّ الثَّنَاءِ طَبِيْعَةُ الْإِنْسَانِ [٥]

---

(١) مذمومة في الشرع، وعند المسلمين.

(٢) « المحاضرات في اللغة والأدب» (١/ ٤٩ ـ ٥٠).

(٣) وانظر: « أدب الدنيا والدين» للماوردي (ص ٣٧٩).

(٤) قيل: محبةُ الذِّكر الجَميل مِن جِبِلَّة الإنسان وخصائصه. « روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار» لابن الخطيب قاسم (ص٢٣٥)، ولم أجده في « الربيع».

(٥) البيت لابن نباتة السَّعْدي، وأولُه: يَهوِي الثناءَ مُبرِّزٌ ومُقَصِّرٌ ❊

انظر: « يتيمة الدهر» (٢/ ٤٦٦)، ولم أجده في « ديوان ابن نباتة» ط. التمدن المصرية (١٣٢٣هـ).

وَلَوْلَا الْكَلَفُ بِهِ لَمَا ظَهَرَتِ الْعَدَالَةُ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ، وَمَنْ لَا يَخُوْفُهُ الْهِجَاءُ وَلَا يَسُرُّهُ الثَّنَاءُ؛ فَلَا يَرْدَعُهُ عَنْ سُوْءِ الْأَفْعَالِ إِلَّا نَارٌ أَوْ سَيْفٌ، وَقَدْ قِيْلَ: الَّذِيْ يَنْفُرُ عَنِ الْقَبِيْحِ وَيَحُثُّ عَلَىٰ الْجَمِيْلِ أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ: الْعَقْلُ، ثُمَّ الْحَيَاءُ، ثُمَّ الْمَدْحُ وَالْهِجَاءُ، ثُمَّ الْتَّرْغِيْبُ وَالْتَّرْهِيْبُ.

وَقَدْ قِيْلَ: مَنْ لَمْ يَرْدَعْهُ الْذَّمُّ عَنْ سَيِّئَةٍ، وَلَمْ يَسْتَدْعِهِ الْمَدْحُ إِلَىٰ حَسَنَةٍ، فَهُوَ جَمَادٌ أَوْ بَهِيْمَةٌ؛ وَلِأَجْلِهِ تَنَازَعَ الْنَّاسُ الرِّيَاسَةَ وَالْمَنَازِلَ الْرَّفِيْعَةَ.

وَلَيْسَ الْثَّنَاءُ فِيْ نَفْسِهِ بِمَحْمُوْدٍ وَلَا مَذْمُوْمٍ، وَإِنَّمَا يُحْمَدُ وَيُذَمُّ بِحَسَبِ الْمَقَاصِدِ، فَمَنْ قَصْدُهُ طَلَبَ مَا يَسْتَحِقُّ بِهِ الْثَّنَاءَ عَلَىٰ الْوَجْهِ الَّذِيْ يُسْتَحَبُّ، فَذَلِكَ مَحْمُوْدٌ، وَهُوَ طَرِيْقَةُ إِبْرَاهِيْمَ الْخَلِيْلِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ قَالَ: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾ (سورة الشعراء، آية ٨٤). أَيْ: اجْعَلْنِيْ بِحَيْثُ أَفْعَلُ مَا إِذَا مُدِحْتُ بِهِ يَكُوْنُ مَادِحِيْ صَادِقًا، وَمِنْ هَذَا الْوَجْهِ نُدِبَ الْإِنْسَانُ إِذَا مُدِحَ أَنْ يَقُوْلَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِيْ خَيْرًا مِمَّا يَظُنُّوْنَ.

وَالْمَذْمُوْمُ مِنْهُ: أَنَّهُ يَمِيْلُ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ تَجْرِبَةٍ لِفِعْلِ مَا يَقْتَضِيْهِ، وَذِلِكَ مِنْ أَعْظَمِ الْآفَاتِ لِمَنْ تَحَرَّاهُ؛ فَإِنَّهُ يَفْتَحُ بَابَ الْحَسَدِ، وَالْحَسَدُ يَفْتَحُ بَابَ

الْكَذِبِ، وَالْكَذِبُ رَأْسُ كُلِّ مَذْمُومٍ، وَقَدْ تَوَعَّدَ اللهُ تَعَالَىٰ مَنْ طَلَبَ الْمَحْمَدَةَ مِنْ غَيْرِ فِعْلِ حَسَنَةٍ تَقْتَضِيهَا، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُوا۟ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُوا۟ فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (سورة آل عمران، آية ١٨٨) .[(١)]

هَذَا، وَمِنْ فَوَائِدِ الذِّكْرِ الْحَسَنِ :

١. أَنَّهُ دِلَالَةٌ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ ، فَإِنَّ مِنْ طَبِيعَةِ الْإِنْسَانِ: مَحَبَّةَ الثَّنَاءِ الْحَسَنِ، وَحُسْنَ الصِّيْتِ.[(٢)]

٢. الْفَرَحُ بِمَا يَسْمَعُهُ الْإِنْسَانُ مِنَ الْمَحْمَدَةِ الصَّادِقَةِ.

٣. أَنَّ هَذَا الصِّيْتَ عَلَامَةُ خَيْرٍ وَقَبُوْلٍ، فَالنَّاسُ شُهَدَاءُ اللهِ فِي أَرْضِهِ.

---

(١) « الذريعة الىٰ مكارم الشريعة» (ص١٩٦ ـ ١٩٧)، وقارِن بـ « الأخلاق والسِّيَر» لابن حزم ـ تحقيق: إيفا ـ (ص ١٨٨).

(٢) « حُسْن التنبه لما ورد في التشبه» للغزي (٤/ ٣٩١).

٤. أَنَّ الْأَعْقَابَ تَتَوَارَثُهُ[١]، فَتَشْكُرَ لِلْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ حُسْنَ الْمِيرَاثِ.

٥. مَعَ تَوَارُثِهِ، تَلْهَجُ الْأَلْسِنَةُ بِالدُّعَاءِ لِلْأَجْدَادِ.

٦. الْاقْتِدَاءُ بِهِمْ فِيْ الْخَيْرِ، فَالْنَّفْسُ فِيْ الْاقْتِدَاءِ بِمَنْ تَعْرِفُ وَتُشَاهِدُ أَكْثَرُ تَهَدِّيًا بِمَنْ لَا تَعْرِفُ ــ كَمَا سَبَقَ ــ: «وَالْنُّفُوْسُ تُؤْخَذُ بِالْاحْتِذَاءِ وَالْمُحَاكَاةِ أَكْثَرَ مِمَّا تُؤْخَذُ بِالْجِبِلَّةِ وَالْطَّبْعِ»[٢] وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ مُحَرِّكَاتِ الْإِنْسَانِ لِفِعْلِ الْمَآثِرِ الْطَّيِّبَةِ، فَبِتَذَكُّرِهِ مَآثِرَ آبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ يَقْدَحُ حَرَارَةَ الْهِمَّةِ، وَيَرْفَعُ نَفْسَهُ إِلَىٰ مَدَارِجِ الْشَّرَفِ بِالْعَمَلِ الْطَّيِّبِ، وَمُوَاصَلَةِ الْخَيْرَاتِ الَّتِيْ تَحَلَّىٰ بِهَا أَجْدَادُهُ.[٣]

٧. رَفْعُ مُسْتَوَىٰ الْقَبُوْلِ وَالْإِعْجَابِ، وَالْرَّغْبَةِ فِيْ الْقُرْبِ مُصَاهَرَةً، وَمُجَاوَرَةً، وَمُعَامَلَةً.

---

(١) ذكرَه أرسطو، انظر: «محاضرات الأدباء» للراغب (٢/ ١٩).

(٢) اقتباس من «آثار البشير الإبراهيمي» (١/ ٢٨٥).

(٣) انظر في هذا المعنىٰ: «الهوامل والشوامل» لمسكويه ــ ط. أحمد أمين، وأحمد صقر ــ (ص ٢٥٥-٢٥٦) رقم (١٠٧).

إِذَنْ لَا عَلَيْنَا ـ جَمِيْعًا ـ أَنْ نَفْرَحَ بِمَا أَظْهَرَهُ اللهُ مِنْ جَمِيْلِ الْأَعْمَالِ وَالْأَخْلَاقِ، شَرِيْطَةَ أَنْ لَا نَغْتَرَّ بِذَلِكَ، وَنكْسَلَ، وَنَتَحَدَّثَ فِيْهِ عَلَىٰ سَبِيْلِ الْفَخْرِ وَالْخُيَلَاءِ وَالْاسْتِعْلَاءِ.

ولَا عَتَبَ أَنْ تَقُوْلُوْا ـ بِلَا فَخْرٍ وَلَا عُجْبٍ ـ :

نَحْنُ الَّذِيْنَ غَدَتْ رَحَىٰ أَحْسَابُهُمْ * وَلَهَا عَلَىٰ قُطْبِ الْفَخَارِ مَدَارُ
قَوْمٌ لِغُصْنِ نَدَاهُمُ مِنْ رِفْدِهِمْ * وَرَقٌ وَمِنْ مَعْرُوْفِهِمْ أَثْمَارُ
مِنْ كُلِّ وَضَّاحِ الْجَبِيْنِ كَأَنَّهُ * رَوْضٌ خَلَائِقُهُ لَهَا أَزْهَارُ[١]

---

(١) الأبيات لأبي الحسن عَليّ بن الْحُسَيْن بن حيدرة العُقيلي الطالبي الهاشمي. كما في «ديوانه» تحقيق زكي المحاسني (ص١٥٩)، وانظر: «الوافي بالوفيات» للصفدي (٢١/ ٢٩).

قال عنه الصفدي في «الوافي» (٢١/ ٢٥): (... ذكره ابْن سعيد المغربي فِي كتاب «الْمغرب» وسَاق لَهُ قطعا كَثِيرَة من شعره وَأما أَنا فَمَا رَأَيْت أحدا من شعراء الْمُتَقَدِّمين من أَجَاد الِاسْتِعَارَة مثله وَلَا أَكثر من استعاراته اللائقة الصَّحِيحَة التخيل وَقد وقفت علىٰ ديوانه وَأَكْثَره مقاطيع....).

أيُّهَا الحَمَادَى، أَنْتُمْ حَمَادَىٰ وَرِثْتُمْ « غَرَائِزَ = طَبَائِعَ = جِيْنَاتٍ» طَيِّبَةً مِنْ عُرُوْقِ أَجْدَادِكُمْ، وَالْعِرْقُ دَسَّاسٌ، وَوَرِثْتُمْ مِنْ آبَائِكُمْ مَزِيْدَاً [(١)]، وَزِدْتُّمْ عَلَيْهِمَا مَا تَعَلَّمْتُمُوْهُ وَقَرَأْتُمُوْهُ فِيْ مُنْزَلِ الْوَحْيَيْنِ، وَآثَارِ السَّلَفِ الصَّالِحِيْنَ، فَلَا تُبْطِلُوْا بَعْضَ أَحْسَابِكُمْ، بِالتَّقْصِيْرِ فِيْ جَانِبٍ مِنْ جَوَانِبِ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ، وَحُسْنِ الْمُعَاشَرَةِ، وَجَمَالِ الْخُلُقِ، وَسَلَامَةِ الصَّدْرِ، وَلِيْنِ الْجَانِبِ، وَكَرَمِ الْقَلْبِ وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ.

وَاعْلَمُوْا أَيُّهَا الْحَمَادَىٰ ـ زَادَكُمُ اللهُ سُؤْدَدَاً ـ أَنَّ الشَّرَفَ مُلازِمٌ لِحُسْنِ الْخُلُقِ، **قَالَ الأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ (ت ٦٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** السُّؤْدَدُ كَرَمُ الْأَخْلَاقِ، وَحُسْنُ الْفِعَالِ. [(٢)]

---

(١) **قال العلّامة الغلاييني (ت ١٣٦٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** (وَفِيْ الْجُمْلَةِ، فَتَأْثِيْرُ الأُسْرَةِ =الْعَائِلَةِ فِيْ طَبَائِعِ النَّاشِئِيْنَ وَعُقُوْلِهِمْ أَمْرٌ لَا يُنْكَرُ، بَلْ إِنَّ طَبَائِعَ الآبَاءِ رُبَّمَا تَنْتَقِلُ إِلَىٰ بَنِيْهِمْ بِطَرِيْقِ الإِرْثِ، حَتَّىٰ ذَكَرُوْا أَنَّ بَعْضَ فَلَاسِفَةِ الأَمِيْرِكَانْ (أوْليفيْه ويْنْدِلْ هِلْمِسْ) سُئِلَ عَنْ مَبْدَإِ تَرْبِيَةِ الطِّفْلِ؟ فَقَالَ: « تَبْتَدِئُ تَرْبِيَةُ الطِّفْلِ قَبْلَ أَنْ يُوْلَدَ بِمِئَةِ سَنَةٍ». يُرِيْدُ بِذَلِكَ: أَنَّ التَّرْبِيَةَ تُرَاثٌ يَرِثُهُ الْوَلَدُ عَنْ آبَائِهِ....). « أَرِيْجُ الزَّهَرِ» (ص ٦٤).

(٢) « أنساب الأشراف» للبلاذري (١٢/ ٣٢١)، « الفاخر» للمفضل بن سلمة (ص٢٩٩).

وَيَقُولُ الْضَّحَّاكُ بْنُ مُزَاحِمٍ (ت ١٠٥ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: السَّيِّدُ: الْحَسَنُ الْخُلُقِ. [(١)]

ويُرْوَى أَنَّ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ سُئِلَ: مَنْ أَسْوَدُ النَّاسِ؟ قَالَ: أَسْخَاهُمْ نَفْسًا حِيْنَ يُسْأَلُ، وَأَحْسَنُهُمْ فِي الْمَجَالِسِ خُلُقًا، وَأَحْلَمُهُمْ حِينَ يُسْتَجْهَلُ. [(٢)]

وَيُرْوَى عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَوْلُهُ: الْسُّؤْدُدُ: الْتَّبَرُّعُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالإِعْطَاءُ قَبْلَ السُّؤَالِ. [(٣)]

قَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ (ت ١٤٢ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لَا يَطْمَعَنَّ ذُوْ الْكِبْرِ فِيْ حُسْنِ الْثَّنَاءِ، وَلَا الْخِبُّ فِيْ كَثْرَةِ الْصَّدِيْقِ، وَلَا الْسَيئُ الأَدَبِ فِيْ الْشَرَفِ، وَلَا الْشَّحِيْحُ فِيْ الْمَحْمَدَةِ، وَلَا الْحَرِيصُ فِيْ الإِْخْوَانِ...). [(٤)] وَعَلَيْكُمْ

---

(١) « الزهد» للإمام أحمد ، رقم (٤٦٢)، « مكارم الأخلاق» للخرائطي ـ ط. الفاروق ـ رقم (٣٤)، و (٦٦٣).

(٢) « مكارم الأخلاق» للخرائطي رقم (٣/ ١٨٤) رقم (٦٦٤)، ولا يصح عنه.

(٣) « المجالسة» للدينوري (٦/ ٢٨٤) رقم (٢٦٤٤).

(٤) « الأدب الصغير » (ص٥٣).

بِالْتَّوَاضُعِ، فَـ « اَلْتَّوَاضُعُ أَحَدُ مَصَايِدِ الْشَّرَفِ»، وَقِيلَ: سُلَّمُ الْشَّرَفِ.[١] وَكَانَ يُقَالُ: اسْمَانِ مُتَضَادَّانِ بِمَعْنَىٰ وَاحِدٍ: اَلْتَّوَاضُعُ وَالْشَّرَفُ.[٢] فَحَذَارِ حَذَارِ حَذَارِ مِنَ: الْكِبْرِ، وَالْكَذِبِ وَالْسُّخْفِ فَهِيَ خِلَالٌ لَايُمْكِنُ مَعَهَا السُّؤْدَدُ.[٣]

قَالَ الْضِّيَاءُ ابْنُ الْأَثِيْرِ (ت ٦٣٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (مُجَارَاةُ اللَّئِيْمِ تَسِمُ وَجْهَ الْحَسَبِ، وَتُلْحِقُ النَّبْعَ بِالْغَرَبِ، فَإِنَّ الْخُلُقَ الْسَّيْئِ يَسْتَتْبِعُ الْحَسَنَ عَلَىٰ أَثَرِهِ، وَكَدَرُ الْمَاءِ لَا يُغْلَبُ بِصَفْوِهِ، وَصَفْوُهُ مَغْلُوْبٌ بِكَدَرِهِ).[٤]

---

(١) نُسِب لمصعب بن الزبير في « البيان والتبيين» (٣/ ٣٠٨)، وغالب المصادر نسبته لعروة بن الزبير: « عيون الأخبار» (١/ ٢٦٦)، « نثر الدر» (٣/ ١٢٠)، « التذكرة الحمدونية» (٣/ ٩٨)، « لباب الآداب» (١/ ٢٥٦).

(٢) « عيون الأخبار» (١/ ٢٦٦).

فائدة: قال معاذ بن جبل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ : (لَا يَبْلُغُ عَبْدٌ ذُرَىٰ الْإِيمَانِ حَتَّىٰ يَكُونَ التَّوَاضُعُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الشَّرَفِ، وَمَا قَلَّ مِنَ الدُّنْيَا أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا كَثُرَ، وَيَكُونُ مَنْ أَحَبَّ وَأَبْغَضَ فِي الْحَقِّ سَوَاءً، يَحْكُمُ لِلنَّاسِ كَمَا يَحْكُمُ لِنَفْسِهِ وَلِأَهْلِ بَيْتِهِ). أخرجه: ابن المبارك في « الزهد» ـ تحقيق : د. عامر صبري ـ (٢/ ٣١٥) رقم (٦٨٣).

(٣) « الرسائل للجاحظ» (٤/ ١٨٤).

(٤) « الوشي المرقوم» (ص ٢٣١).

عَلَوْتُمُ، فَتَوَاضَعْتُمْ عَلَىٰ ثِقَةٍ ❊ لَمَّا تَوَاضَعَ أَقْوَامٌ عَلَىٰ غَرَرِ
وَالْكِبْرُ وَالْحَمْدُ ضِدَّانِ، اتِّفَاقُهُمَا ❊ مِثْلُ اتِّفَاقِ فَتَاءِ الْسِّنِّ وَالْكِبَرِ
يَجْنِىٰ تَزَايُدُ هَذَا مِنْ تَنَاقُصِ ذَا ❊ وَاللَّيْلُ إِذَا طَالَ غَالَ الْيَوْمَ بِالْقِصَرِ(١)

قَالَ ابْنُ حِبَّانَ (ت ٣٥٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (فَالْوَاجِبُ عَلَىٰ الْعَاقِلِ أَنْ يَلْزَمَ إِقَامَةَ الْمُرُوْءَةِ بِمَا قَدِرَ عَلَيْهِ مِنْ الْخِصَالِ الْمَحْمُوْدَةِ، وَتَرْكِ الْخِلَالِ الْمَذْمُوْمَةِ، وَقَدْ نَبَغَتْ نَابِغَةٌ اتَّكَلُوْا عَلَىٰ آبَائِهِمْ، وَاتَّكَلُوْا عَلَىٰ أَجْدَادِهِمْ فِيْ الْذِّكْرِ وَالْمُرُوْءَاتِ، وَبَعُدُوا عَنْ الْقِيَامِ بِإِقَامَتِهَا بِأَنْفُسِهِمْ.

وَلَقَدْ أَنْشَدَنِيْ مَنْصُوْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ فِيْ ذَمِّ مَنْ هَذَا نَعْتُهُ :

إِنَّ الْمُرُوْءَةَ لَيْسَ يُدْرِكُهَا امْرُؤٌ ❊ وَرِثَ المرُوْءَةَ عَنْ أَبٍ؛ فَأَضَاعَهَا
أَمَرَتْهُ نَفْسٌ بِالْدَّنَاءَةِ وَالخَنَا ❊ وَنَهَتْهُ عَنْ طَلَبِ الْعُلَىٰ ؛ فَأَطَاعَهَا
فَإِذَا أَصَابَ مِنَ الْأُمُوْرِ عَظِيمَةً ❊ يَبْنِي الْكَرِيمَ بِهَا المرُوْءَةَ؛ بَاعَهَا (٢)

---

(١) المعَرِّي « سقط الزند» (ص ٦٢).

(٢) « روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» (ص ٢٤٠ـ ٢٤١).

قَالَ صِدِّيْقُ خَانَ الْقَنُّوْجِيُّ (ت ١٣٠٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (... وَأَكْثَرُ مَنْ عَلَا نَسَبًا وَافْتَخَرَ حَسَبًا؛ حُرِمَ مِنَ الْفَضَائِلِ الدِّيْنِيَّةِ وَالْفَوَاضِلِ الْيَقِيْنِيَّةِ، وَهَلَكَ فِيْمَنْ هَلَكَ مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا وَآبَائِهَا...).[١]

« وَالْمَرْءُ مِنْ حَيْثُ يُوْجَدُ لَا مِنْ حَيْثُ يُوْلَدُ، وَالْإِنْسَانُ مِنْ حَيْثُ يَثْبُتُ لَا مِنْ حَيْثُ يَنْبُتُ ».[٢]

وَعَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَنْ يَتَّقِيَ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، وَيَحْذَرَ مِنْ الْاعْتِرَاضِ عَلَىٰ قَدَرِهِ جَلَّ وَعَلَا بِمَا يَقُوْمُ فِيْ نَفْسِهِ وَلِسَانِهِ وَعَمَلِهِ مِنْ حَسَدِ مَنْ آتَاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ فَضْلِهِ، خاصَّةً حَسَدُ مَنْ يَسْعَىٰ خَيْرَاً فِيْ قَبِيْلَتِهِ/ عَشِيْرَتِهِ/ أُسْرَتِهِ/ بَلَدِهِ، فَالْأَرْضُ تَسَعُ الْمَكَارِمَ وَأَهْلَهَا كُلَّهُم ، وَإِنَّ حَسَدَ مَنْ يَبْنِيْ خَيْرَاً، لَيُعْتَبَرُ اعْتِرَاضًا عَلَىٰ اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ ، وَسَعْيًا لِإِيْقَافِ الْخَيْرِ عَنِ الْمُسْلِمِيْنَ، وَحِرْمَانًا لِلْحَاسِدِ، وَحَسْرَاتٍ عَلَيْهِ مُتَوَاصِلَةً.

---

(١) « الدين الخالص» (٤/ ٤٣١).

(٢) « يتيمة الدهر» (٤/ ٣١١)، « التذكرة الحمدونية» (٦/ ٤٣٤)، « معجم الأدباء» (١/ ٢٥٢).

قَالَ الرَّاغِبُ الْأَصْبَهَانِيُّ (ت ٥٠٢هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ : (الْحَاسِدُ ... أَظْلَمُ ظَالِمٍ؛ لِأَنَّهُ يَظْلِمُ غَيْرَهُ فِي إِزَالَةِ حَالِهِ، وَيَظْلِمُ رَبَّهُ فِيمَا قَدَّرَهُ...

وَقَالَ: وَاعْلَمْ أَنَّ الْحَسَدَ ضَرْبٌ مِنَ الْحَمَاقَةِ؛ لِأَنَّ اغْتِمَامَهُ بِمَا يَنَالُهُ ذَوُوهُ وَأَهْلُ بَلَدِهِ يَقْتَضِي أَنْ يَغْتَمَّ أَيْضًا بِمَا يَنَالُهُ أَهْلُ الصِّيْنِ وَالْهِنْدِ، عَلَىٰ أَنَّ الْخَيْرَ الَّذِيْ يَنَالُ ذَوِيْهِ إِذَا تَفَكَّرَ فِيْهِ ؛ هُوَ أَنْفَعُ لَهُ مِمَّا يَنَالُهُ الْأَبَاعِدُ).[١]

« سَمَاءُ الْمَجْدِ وَاسِعَةٌ رَحْبَةٌ سَحَّاءُ، تَسَعُكَ وَأَقْرَانُكَ وَمَنْ فِيْ أَرْضِ الْمَعَالِيْ جَمِيْعًا، فَلَا تُقَاتِلْ كُلَّ نَجْمٍ بَزَغَ فِيْهَا غَيْرُكَ؛ فَإِنَّكَ تَبُوْءُ بِالْتَّبَارِ، وَتَهْدِرُ أَيَّامَكَ فِيْ مَعَارِكَ خَاسِرَةٍ، وَلَنْ تَبْلُغَ أَنْ تُطْفِئَ نَجْمًا أَسْرَجَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ».[٢]

قَالَ ابْنُ حَمْدُوْنَ (ت٥٦٢هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ : (كَانَتْ الْعَرَبُ فِيْ جَاهِلِيَّتِهَا وَإِسْلَامِهَا تَتَّقِيْ الْهِجَاءَ أَشَدَّ مِنِ اتِّقَائِهَا السِّلَاحَ، حَيْثُ كَانَتْ تُحَامِيْ عَنْ أَحْسَابِهَا، وَتَرْغَبُ فِيْ اقْتِنَاءِ الْمَحَامِدِ الْبَاقِيْ ذِكْرُهَا عَلَىٰ أَعْقَابِهَا. وَلِذَلِكَ قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ وَعَبْدُاللهِ

---

(١) « الذريعة الىٰ مكارم الشريعة» (ص٢٤٥ ــ ٢٤٦) .

(٢) الأديبة: جديلة @jadelah10 (٢/ ٧/ ١٤٤١هـ).

بْنُ رَوَاحَةَ وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْصَّحَابَةِ ـ يَهْجُوْنَ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ ـ : لَهُوَ أَشَدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ وَقْعِ النَّبْلِ.

وَكَانَ أَحَدُهُمْ فِيْ الْفَلَاةِ الْقَفْرِ لَا أَنِيْسَ بِهَا مَعَهُ وَلَا قَرِيْنَ، يَحْمِيْ نَفْسَهُ عَنْ كَلِمَةٍ يُعَابُ بِهَا حَتَّىٰ كَأَنَّهُ يَتَعَبَّدُ بِذَلِكَ مَنْ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ خَافِيَةٌ...). [1]

نَعَمْ، أَهْلُ الْشَّرَفِ وَالْسُّؤْدَدِ إِنْ لَمْ يَمْنَعْهُمْ عَنْ الْقَبِيْحِ دِيْنٌ، مَنَعَهُمْ الشَّرَفُ والْمُرُوْءَةُ، [2] فَقَدْ قَالَ الإِمَامُ الْمُحَدِّثُ شُعْبَةُ بْنُ الْحَجَّاجِ (ت ١٦٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ : (خُذُوْا عَنْ أَهْلِ الشَّرَفِ، فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُوْنَ). [3]

---

(١) « التذكرة الحمدونية» (٥/ ٩٦).

(٢) مثل ماقال أبو سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قبل إسلامه ـ لهِرَقْلَ كما في « صحيح البخاري» رقم (٧)، و « صحيح مسلم» (١٧٧٣): (... فَوَالله لَوْلَا الحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ). لفظ البخاري، ولفظ مسلم: (وايم الله، لولا مخافةُ أن يُؤثَر عليَّ الكذب، لكذبتُ).

(٣) « الجعديات» (١/ ١٢) رقم (٢٩)، و « حلية الأولياء» (٧/ ١٥٦)، وانظر: « سير أعلام النبلاء» (٧/ ٢١٧).

وفي لفظ: (الْأَشْرَافُ لَا يَكْذِبُوْنَ).[(١)]

أَيُّهَا الْأَبْنَاءُ وَالْبَنَاتُ مِنَ الْحَمَادَى، لَا تُلْجِئُوا آبَاءَكُمْ إِلَى أَنْ يَقُوْلُوْا أَنْتُمْ لَسْتُمْ حَمَادَى !!!

فَإِنَّ مِنْ عَادَةِ الْعَرَبِ أَنْ: (يَقُوْلَ الْأَبُ لِوَلَدِهِ إِذَا أَنْكَرَ مِنْهُ أَخْلَاقًا أَوْ أَعْمَالًا: لَسْتَ مِنِّي.

وَكَأَنَّهُ مِنْ بَابِ نَفْيِ الشَّيءِ لِانْتِفَاءِ ثَمَرَتِهِ؛ فَإِنَّ الْمَقْصُوْدَ الْمَطْلُوْبَ أَنْ يَكُوْنَ الْابْنُ مُسَاوِيًا لِلْأَبِ فِيْمَا يُرِيْدُهُ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْحَمِيْدَةِ، فَلَمَّا انْتَفَتْ هَذِهِ الثَّمَرَةُ؛ انْتَفَتْ الْبُنُوَّةُ ؛ مُبَالَغَةً).[(٢)]

قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَىٰ لِسَانِ قَوْمِ مَرْيَمَ لِمَرْيَمَ عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ ﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾ (سورة مريم، آية ٢٨)

قال قتادة السَّدُوْسِيِّ (ت ١١٧ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الآية: (كَانَتْ مِنْ أَهْلِ

---

(١) « المجروحون» لابن حبان (١/ ١٥١)، « الكامل» لابن عدي (١/ ١٥١)، « الجامع لشعب الإيمان» للبيهقي (١٦/ ١٥٧).

(٢) « العدة في شرح العمدة» لابن العطار (ت ٧٢٤ هـ) (٣/ ١٣٨٠).

بَيْـتٍ يَعْرَفُـونَ بِالصَّـلَاحِ، وَلَا يَعْرَفُـونَ بِالْفَسَـادِ، وَمِـنَ النَّـاسِ مَـنْ يُعْرَفُـونَ بِالصَّلَاحِ وَيَتَوَالَـدُونَ بِـهِ، وَآخَـرُونَ يُعْرَفُـونَ بِالْفَسَـادِ وَيَتَوَالَـدُونَ بِـهِ؛ وَكَـانَ هَارُونُ مُصْلِحَـا مُحَبَّبَـا فِي عَشِيرَتِهِ، وَلَـيْسَ بِهَـارُونَ أَخِـي مُوسَـىٰ، وَلَكِنَّـهُ هَارُونُ آخَرُ...). [(١)]

قَالَ الْخَطَّابِيُّ (ت ٣٨٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَـنْ الْآيَـةِ : (...فَقَضَـوْا بِفَسَـادِ الْأَصْلِ عَلَىٰ فَسَادِ الْفَـرْعِ).[(٢)] عَلَّـقَ الشَّـيْخُ أَحْمَـدْ شَـاْكِرْ (ت ١٣٧٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قَوْلِ الْخَطَّابِيِّ بِقَوْلِهِ: (وَهَـذَا ــ الَّـذِيْ قَـالَ الْخَطَّـابِيُّ ــ كَـلَامٌ جَيِّـدٌ، وَاسْـتِدْلَالٌ صَـحِيْحٌ، يُؤَيِّـدُهُ الْوَاقِـعُ الْمُشَـاهَدُ فِـيْ الْأَغْلَـبِ الْأَكْثَـرِ، وَالنَّادِرُ غَيْرُ ذَلِكَ...).[(٣)]

قَـالَ الْآلُوْسِـيُّ (١٢٧٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (وَفِيْـهِ دَلِيْـلٌ عَلَـىٰ أَنَّ الْفُـرُوْعَ غَالِبَـا تَكُـوْنُ زَاكِيَـةً إِذَا زَكَـتْ الْأُصُـوْلُ، وَيُنْكَـرُ عَلَيْهَـا إِذَا جَـاءَتْ بِضِـدِّ ذَلِكَ).[(٤)]

---

(١) « جامع البيان» لابن جرير (١٥/ ٥٢٣).

(٢) « معالم السنن» (٤/ ٨٠).

(٣) تحقيق أحمد شاكر « مسند أحمد» (٨/ ١٧١).

(٤) « روح المعاني» (٨/ ٤٠٧).

قَالَ ابْنُ سَعْدِيٍّ (ت ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (أَيْ: لَمْ يَكُنْ أَبَوَاكِ إِلَّا صَالِحِيْنَ سَالِمِيْنَ مِنَ الشَّرِّ، وَخُصُوْصًا هَذَا الشَّرَّ الَّذِيْ يُشِيْرُوْنَ إِلَيْهِ، وَقَصْدُهُمْ: فَكَيْفَ كُنْتِ عَلَىٰ غَيْرِ وَصْفِهِمَا ؟! وَأَتَيْتِ بِمَا لَمْ يَأْتِيَا بِهِ؟! وَذَلِكَ أَنَّ الْذُّرِّيَّةَ ـ فِيْ الْغَالِبِ ـ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ فِيْ الصَّلَاحِ وَضِدِّهِ؛ فَتَعَجَّبُوْا ـ بِحَسَبِ مَا قَامَ بِقُلُوْبِهِمْ ـ كَيْفَ وَقَعَ مِنْهَا ؟ فَأَشَارَتْ لَهُمْ إِلَيْهِ، أَيْ: كَلِّمُوْهُ ...).(١)

قَالَ الْشَّعْرَاوِيُّ (ت ١٤١٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (وَفِيْ هَذَا دَلِيْلٌ عَلَىٰ أَنَّ نُضْجَ الْأُسَرِ يُؤَثِّرُ فِيْ الْأَبْنَاءِ، فَحِيْنَ نُكَوِّنُ الْأُسْرَةَ الْمُؤْمِنَةَ وَالْبَيْتَ الْمُلْتَزِمَ بِشَرْعِ اللهِ، وَحِيْنَ نَحْتَضِنُ الْأَبْنَاءَ وَنَحُوْطُهُمْ بِالْعِنَايَةِ وَالْرِّعَايَةِ، فَسَوْفَ نَسْتَقْبِلُ جِيْلًا مُؤْمِنًا وَاعِيًا نَافِعًا لِنَفْسِهِ وَلِمُجْتَمَعِهِ).(٢)

قَالَ أَبُوْ هِلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ (ت ٣٩٥هـ تقريبًا) رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (وَرُبَّمَا كَانَ سُؤْدَدُ الْوَالِدِ وَفَضِيْلَتُهُ نَقِيْصَةً لِلْوَلَدِ إِذَا تَأَخَّرَ عَنْ رُتْبَةِ الْوَالِدِ، وَيَكُوْنُ ذِكْرُ الْوَالِدِ الْفَاضِلِ تَقْرِيْعًا لِلْوَلَدِ الْنَّاقِصِ.

---

(١) « تفسير السعدي» (ص٤٩٢) .

(٢) « تفسير الشعراوي» (١٥/ ٩٧٤).

وَقِيْلَ لِبَعْضِهِمْ: لِمَ لَا تَكُوْنُ كَأَبِيْكَ؟ فَقَالَ: لَيْتَ أَبِيْ لَمْ يَكُنْ ذَا فَضْلٍ؛ فَإِنَّ فَضْلَهُ صَارَ نَقْصًا لِي).[١]

وَالنَّاسُ يَعِيْبُوْنَ « مَنْ يُخْلِفُ آبَاءَهُ الصَّالِحِيْنَ، بِالْفِسْقِ وَكَثْرَةِ الرَّغْبَةِ فِيْ الدُّنْيَا وَالْكِبْرِ، والدَّعْوَى، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْقَبَائِحِ، .....

لَئِنْ فَخَرْتَ بِآبَاءٍ لَهُمْ شَرَفٌ * لَقَدْ فَخَرْتَ وَلَكِنْ بِئْسَ مَا وَلَدُوْا [٢]

قَالَ الغَزِّيُّ (ت ١٠٦١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ : (... فَمَنْ كَانَ أَبُوْهُ صَالِحًا وَخَالَفَ سَمْتَ أَبِيْهِ فَقَدْ أَشْمَتَ عَدُوَّ أَبِيْهِ فِيْهِ، وَكَانَ لِقَابِيْلَ مَثِيْلًا، وَلِإِبْلِيْسَ خَلِيْلًا،[٣] بَلْ اللَّائِقُ بِابْنِ الْكَرِيْمِ أَنْ يَكُوْنَ كَرِيْمًا، وَلَا يُبَاحُ لِابْنِ اللَّئِيْمِ أَنْ يَكُوْنَ لَئِيْمًا، وَقَدْ ذَمَّ اللهُ تَعَالَى الْأَبْنَاءَ عَلَى تَقْلِيْدِ الْآبَاءِ فِيْ اللَّآمَةِ، وَعُدَّ افْتِخَارِ يُوْسُفَ بِآبَائِهِ الْكِرَامِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنْ قَبِيْلِ الْكَرَامَةِ.....

وَلَا شَكَّ أَنَّ ابْنَ الْكِرَامِ إِذَا جَاءَ بِأَفْعَالِ اللِّئَامِ؛ سَلَّطَ عَلَى عِرْضِهِ،

---

(١) « الصناعتين» (ص٩٩).

(٢) « المحاضرات في اللغة والأدب» للحسن اليوسي (١/ ٧٦).

(٣) التشبيه بقابيل وإبليس، ليس حسَنًا .

وَعِرْضِ آبَائِهِ أَلْسِنَةَ الْأَنَام، فَهُوَ جَانٍ عَلَى نَفْسِهِ وَعَشِيْرَتِهِ، وَشَائِنٌ لِقَوْمِهِ وَقَبِيْلَتِهِ، فَهُوَ حَرِيٌّ بِالْنَّكَالِ، جَدِيْرٌ بِالْوَبَالِ.

وَقُلْتُ:

يَا مُشْمِتَ الأَعْداءِ فِي آبَائِهِ ❋ لَا كُنْتَ يَوْمًا مُشْمِتَ الأَعْداءِ
وَابْنُ الْكِرامِ إِذَا نَبَا عَنْ سَمْتِهِمْ ❋ أَوْلَى بِأَنْ يُهْجَى بِكُلِّ هِجاءِ[(١)]

يُقَالُ: عَيَّرَ شَرِيْفُ الْنَّسَبِ سُقْرَاطَ بِسُقُوطِ نَسَبِهِ، فَقَالَ: نَسَبِي عَارٌ عَلَيَّ، وَأَنْتَ عَارٌ عَلَىٰ نَسَبِكَ.[(٢)]

وَفَخَرَ رَجُلٌ مِنَ الْمُلُوْكِ عَلَىٰ جَالِيْنُوْسَ، فَرَدَّ عَلَيْهِ: أَمَّا مَا فَخَرْتَ بِهِ مِنْ شَرَفِ آبَائِكَ، فَشَيءٌ لَا صُنْعَ لَكَ فِيْهِ! كَمَا لَا صُنْعَ لِيْ فِي ذِلَّةِ آبَائِي! وَأَمَّا مَا كَانَ إِلَيْكَ وَإِلَيَّ، فَلَا فَخْرَ لَكَ فِيْهِ عَلَيَّ؛ لِأَنَّكَ رَضِيْتَ لِنَفْسِكَ الْنَّقْصَ، وَشَيَّدْتُّ لِنَفْسِيَ الْشَّرَفَ.[(٣)]

---

(١) «حسن التنبه لما ورد في التشبه» للغزي (٦/ ٣٧٥).

(٢) «ربيع الأبرار» (٤/ ٢٦٠).

(٣) «المناقب والمثالب» لريحان الخوارزمي (ص٢٤١) رقم (٧٦٢).

أَيُّهَا الْحَمَادَىٰ اسْتَوْوا، وَاعْتَدِلُوْا، وَاسْتَقِيْمُوْا، وَسَوُّوْا صُفُوْفَكُمْ، وَتَرَاصُّوْا، وَتَحَاذَوْا بِالْقُلُوْبِ، وَسُدُّوْا الْخَلَلَ، وَلَا تَدَعُوْا فُرُجَاتٍ لِلْشِّيْطَانِ، وَتُوْبُوْا إِلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ جَمِيْعًا وَاسْتَغْفِرُوْهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَ.

هَذَا، وَلِلْشَّوْكَانِيِّ (ت ١٢٥٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ كَلَامٌ جَمِيْلٌ فِيْ الْحَدِيْثِ عَنْ الاعْتِدَادِ بِالْأَحْسَابِ، وَذِكْرِ مَآثِرِ الْآبَاءِ، وَأَنَّهُ لَا يَدُلُّ عَلَىٰ التَّعَصُّبِ لَهُمْ، وَتَلَقِّي مَا نُقِلُ عَنْهُمْ بِالْقَبُولِ مُطْلَقًا، قَالَ: (وَلِهَذَا تَرَىٰ كَثِيْراً مِنْهُمْ يَسْتكْثِرُ مِنْ: قَالَ جَدُّنا، قَالَ وَالِدُنَا، وَاخْتَارَ كَذَا، صَنَعَ كَذَا، فَعَلَ كَذَا؛ وَهَذَا لَا شَكَّ أَنَّ الطِبَاعَ الْبَشَرِيَّةِ تَمِيلُ إِلَيْهِ، وَلَا سِيَّمَا طَبَائِعُ العَرَبِ؛ فَإِنَّ الْفَخْرَ بِالأنَسَابِ وَالتَّحَدُّثَ بمَا كَانَ لِلسَّلَفِ مِنَ الْأَحْسَابِ، يَجِدُونَ فِيْهِ مِنَ الْلَّذَّةِ مَا لَا يَجِدُوْنَهُ فِيْ تَعَدُّدِ مَنَاقِبِ أَنْفُسِهِمْ، وَيَزدَادُ هَذَا بِزِيَادَةِ شَرَفِ الْنَّفْسِ، وَكَرَمِ الْعُنْصُرِ، وَنَبَالَةِ الْآبَاءِ؛ وَلَكِنْ لَيْسَ مِنَ الْمَحْمُوْدِ أَنْ يَبْلُغَ بِصَاحِبِهِ إِلَىٰ الْتَّعَصُّبِ فِيْ الْدِّيْنِ، وَتَأْثِيْرِ الْبَاطِلِ عَلَىٰ الْحَقِّ؛ فَإِنَّ الْلَّذَّةَ الَّتِي يَطْلُبُهَا، وَالْشَّرَفَ الَّذِي يُرِيْدُهُ قَدْ حَصَلَ لَهُ بِكَونِ مَنْ سَلَفَهُ ذَلِكَ الْعَالِمَ، وَلَا يَضِيْرُهُ أَنْ يَتْرُكَ الْتَّعَصُّبَ لَهُ، وَلَا يَمْحَقْ عَلَيْهِ شَرَفَهُ، بَلْ الْتَّعَصُّبُ مَعَ كَوْنِهِ مُفْسِدَاً لِلْحَظِّ الْأُخْرَوِيِّ؛ يُفْسِدُ عَلَيْهِ أَيْضَا الْحَظَّ الْدُّنيَوِيَّ؛ فَإِنَّهُ إِذَا تَعَصَّبَ لِسَلَفِهِ

بِالْبَاطِلِ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَعْرِفَ كُلُّ مَنْ لَهُ فَهْمٌ أَنَّهُ مُتَعَصِّبٌ؛ وَفِيْ ذَلِكَ عَلَيه مِنْ هَدْمِ الرِّفْعَةِ الَّتِي يُرِيْدُهَا، وَالْمَزِيَّةِ الَّتِي يَطْلُبُهَا مَا هُوَ أَعْظَمُ عَلَيْهِ وَأَشَدُّ مِنْ الْفَائِدَةِ الَّتِي يَطْلُبُهَا بِكَوْنِ لَهُ قَرِيْبٌ عَالِمٌ، فَإِنَّهُ لَا يَنْفَعْهُ صَلَاحُ غَيْرِهِ مَعَ فَسَادِ نَفْسِهِ...). [١]

❊ ❊ ❊

---

(١) «أدب الطلب ومنتهىٰ الأدب» (ص٥٩).

أيُّهَا الحمادي أَبْنَاءَ وَ بَنَاتِ الْأَعْمَامِ

اعْلَمُوْا أَنَّ الْعِلْمَ أَشْرَفُ الْأَحْسَابِ، [(١)] فَلْنَحْرِصْ عَلَيهِ، وَنَجتَهِدْ فِيْهِ، وَنُرَبِّي أَوْلَادَنَا فِيْ سَبِيْلِهِ، فَالْعِلْمُ عِـزٌّ، وَ « كُلُّ عِـزٍّ لَـمْ يُؤَكِّـدْهُ عِلْـمٌ؛ مَذَلَّـةٌ، وَكُلُّ عِلْمٍ لَمْ يُؤَكِّدْهُ عَقْلٌ؛ مَضَلَّةٌ ». [(٢)]

قَالَ أَبُوْ الْحَسَنِ الْبَاهِلِيُّ (ت ٥٤٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (مِنْ كَلَامِ الْعُلَمَاءِ: الْعِلْمُ أَنْفَسُ الْأَعْلَاقِ، وَأَشْرَفُ الْأَعْرَاقِ، وَأَكْرَمُ مُنْتَسَبٍ، وَأَنْفَعُ لِمُقْتَنِيْهِ مِنَ الْفِضَّةِ وَالْذَّهَبِ، فَإِنَّهُمَا يَبِيْدُهُمَا الْإِنْفَاقُ، وَلَا يَنْفَعَاكَ إِلَّا عِنْدَ الْفِرَاقِ .

---

(١) « عيون الأخبار» (٢/ ١٢١)، « التمثيل والمحاضرة» (ص١٦٦)، « جامع بيان العلم» (١/ ٢٥٦).

وفي « حليـة الأوليـاء» لأبـي نُعـيم (٧/ ٢١٤): قـال مسعـر بـن كـدام (ت ١٥٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « العِلْـمُ أشَـرَفُ الأحسَـابِ؛ يَرفَـعُ الخَسِيسَ في نَسَـبِهِ، ومَـنْ قَعَـدَ بـِهِ حَسَـبُهُ؛ نَهَضَ بِهِ أدَبُهُ » .

(٢) « الذخائر والأعلاق» لأبي الحسن الباهلي (ص ٩٦).

وانظر للفائدة: « مسبوك الذهب في فضل العرب وشرف العلم علىٰ شرف النسب» لمرعي الكرمي (ت ١٠٣٣هـ).

وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ: الْعِلْمُ جَمَالٌ لَا يَخْفَىٰ، وَنَسَبٌ لَا يُجْفَىٰ، وَالْعِلْمُ لَا يَنْقُصُ مَعَ الإِبْذَالِ، وَلَا يُفَارِقُكَ فِيْ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ). [(١)]

« إِنَّ عَمَلَ الْأَجْدَادِ لِلْخَيْرِ وَالْنَّفْعِ، وَبِنَاءَهُمْ الْبَاقِيَاتِ الْصَّالِحَاتِ لِلْعِلْمِ؛ مَفْخَرَةٌ لِلْأَحْفَادِ، وَحَفْزٌ لِهِمَمِهِمْ، وَتَقْصِيْرٌ لِلْمَسَافَةِ عَلَيْهِمْ، وَتَقْلِيْلٌ مِنَ الْجُهْدِ وَالْنَّصَبِ، وَغَرْسٌ وَتَمْهِيْدٌ؛ فَضَعُوْا - أَيُّهَا الْحَمَادَىٰ - فِيْ أَيْدِيْ أَبْنَائِكُمْ مَا يُفَاخِرُوْنَ بِهِ، وَابْنُوْا لَهُمْ مَا لَا يَحْتَاجُوْنَ مَعَهُ إِلَىٰ الْتَّرْمِيْمِ.

إِنَّ بِرَّ الْآبَاءِ لِلْأَبْنَاءِ أَسَاسٌ لِبِرِّ الْأَبْنَاءِ لِلْآبَاءِ، فَأَقْرِضُوْا أَبْنَاءَكُمْ الْبِرَّ الْحَسَنَ؛ تَجِدُوْهُ مُضَاعَفًا، وَيُؤَدُّوْهُ إِلَيْكُمْ وَمَعَهُ فَائِدَتَهُ وَرَيْعَهُ ». [(٢)]

الْعِلْمُ مَنَاطُ الْشَّرَفِ وَالْكَرَامَةِ وَالْكَمَالِ، وَالْنِّتَاجُ الْعِلْمِيُّ =الْمُؤَلَّفَاتُ مَوَارِيْثُ ثَمِيْنَةٌ، وَمَعَادِنُ دَفِيْنَةٌ، وَخَصَائِصُ مَكِيْنَةٌ، فَأَثِيْرُوْا - أَيُّهَا الْحَمَادَىٰ - الْهِمَمَ الْرَّاكِدَةَ، وَالْمَشَاعِرَ الْهَادِئَةَ، وَعَوَاطِفَ الْخَيْرِ، وَنَوَازِعَ الْشَّرَفِ،

---

(١) « الذخائر والأعلاق» لأبي الحسن الباهلي (ص ١٠٣)، وانظر قول ابن المعتز في « زهر الآداب » للحُصَري (٢/ ٤٢٩).

(٢) اقتباس من كلمات للبشير الإبراهيمي في « آثاره» (٣/ ٢٥٣).

وَالنُّفُوْسَ الْبَاحِثَةَ فِيْ غَيْرِ سَبِيْلِ الْعِلْمِ، انْفَخُوْا فِيْهَا رُوْحًا جَدِيْدَةً مُثِيْرَةً، فِيْهَا كُلُّ مَا فِيْ الْكَهْرَبَاءِ مِنْ نَارٍ وَنُوْرٍ. (١)

وَمِنْ أَجْمَلِ مَنْ تَحَدَّثَ عَنْ مَكَانَةِ الْعِلْمِ فِيْ مَنَازِلِ الشَّرَفِ، عَبْدُالقَاهِرِ الجُرْجَانِيُّ (ت ٤٧١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ بِكَلَامٍ أَخَّاذٍ، يُثِيْرُ الْهِمَّةَ لِنَيْلِ الرُّتَبِ العَلِيَّةَ، اقْرَأْ وَاسْمَعْ وَتَدَبَّرْ قَوْلَهُ: (إِذَا تَصَفَّحْنَا الْفَضَائِلَ لِنَعْرِفَ مَنَازِلَهَا فِيْ الشَّرَفِ، وَنَتَبَيَّنَ مَوَاقِعَهَا مِنَ الْعِظَمِ؛ وَنَعْلَمَ أَيٌّ أَحَقُّ مِنْهَا بِالْتَّقْدِيْمِ، وَأَسْبَقُ فِيْ اسْتِيْجَابِ الْتَّعْظِيْمِ؛ وَجَدْنَا الْعِلْمَ أَوْلَاهَا بِذَلِكَ، وَأَوَّلَهَا هُنَالِكَ؛ إِذْ لَا شَرَفَ إِلَّا وَهُوَ السَّبِيْلُ إِلَيْهِ، وَلَا خَيْرَ إِلَّا وَهُوَ الدَّلِيْلُ عَلَيْهِ، وَلَا مَنْقَبَةَ إِلَّا وَهُوَ ذُرْوَتُها وَسَنَامُهَا، وَلَا مَفْخَرَةَ إِلَّا وَبِهِ صِحَّتُهَا وَتَمَامُهَا، وَلَا حَسَنَةَ إِلَّا وَهُوَ مِفْتَاحُهَا؛ وَلَا مَحْمَدَةَ إِلَّا وَمِنْهُ يَتَّقِدُ مِصْبَاحُهَا، وَهُوَ الْوَفِيُّ إِذَا خَانَ كُلُّ صَاحِبٍ، وَالثِّقَةُ إِذَا لَمْ يُوْثَقْ بِنَاصِحٍ، لَوْلَاهُ لَمَا بَانَ الإِنْسَانُ مِنَ سَائِرِ الْحَيَوَانِ إِلَّا بِتَخْطِيْطِ صُوْرَتِهِ، وَهَيْئَةِ جِسْمِهِ وَبِنْيَتِه، لَا، وَلَا وَجَدَ إِلَىٰ اكْتِسَابِ الْفَضْلِ طَرِيْقًا، وَلَا وَجَدَ بِشَيءٍ مِنَ الْمَحَاسِنِ خَلِيْقًا.

---

(١) اقتباس من «آثار البشير الإبراهيمي» (٣/ ٤٥٥).

ذَاكَ لِأَنَّا وَإِنْ كُنَّا لَا نَصِلُ إِلَىٰ اكْتِسَابِ فَضِيْلَةٍ إِلَّا بِالْفِعْلِ، وَكَانَ لَا يَكُوْنُ فِعْلٌ إِلَّا بِالْقُدْرَةِ، فَإِنَّا لَمْ نَرَ فِعْلاً زَانَ فَاعِلَهُ وَأَوْجَبَ الْفَضْلَ لَهُ، حَتَّىٰ يَكُوْنَ عَنْ الْعِلْمِ صَدَرُهُ، وَحَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ مِيْسَمُهُ عَلَيهِ وَأَثَرُهُ؛ وَلَمْ نَرَ قُدْرَةً قَطُّ كَسَبَتْ صَاحِبَهَا مَجْدَاً وَأَفَادَتْهُ حَمْدَاً، دُوْنَ أَنْ يَكُوْنَ الْعِلْمُ رَائِدَهَا فِيْمَا تَطْلُبُ، وَقَائِدَهَا حَيْثُ يَؤمُّ وَيَذْهَبُ، وَيَكُوْنَ الْمُصَرِّفَ لِعِنَانِهَا، وَالْمُقَلِّبَ لَهَا فِيْ مَيْدَانِهَا.

فَهِيَ إِذاً مُفْتَقِرَةٌ فِيْ أَنْ تَكُوْنَ فَضِيْلَةً إِلَيْهِ، وَعِيَالٌ فِيْ اسْتِحْقَاقِ هَذَا الْاسْمِ عَلَيْهِ، وَإِذَا هِيَ خَلَتْ مِنَ الْعِلْمِ أَوْ أَبَتْ أَنْ تَمْتَثِلَ أَمْرَهُ، وَتَقْتَفِي أَثَرَهُ وَرَسْمَهُ؛ آلَتْ وَلَا شَيءَ أَحْشَدُ لِلْذَّمِّ عَلَىٰ صَاحِبِهَا مِنْهَا، وَلَا شَيْنَ أَشْيَنُ مِنْ أَعْمَالِهِ لَهَا.

فَهَذَا فِيْ فَضْلِ الْعِلْمِ لَا تَجِدُ عَاقِلاً يُخَالِفُكَ فِيْهِ، وَلَا تَرَىٰ أَحداً يَدْفَعُهُ أَوْ يَنْفِيْهِ). (١)

(١) «دلائل الإعجاز» (ص٤ ـ ٥).

وَالْعِلْمُ أَحْصَنُ مَا لَاذَ الرِّجَالُ بِهِ * مَنْ فَاتَهُ الْعِلْمُ دِيْسَتْ أَرْضُهُ وَرُمِي
يَا نَازِلِيْنَ عَلَىٰ الْأَرْحَام فِيْ كَنَفٍ * مِنَ الْأُخُوَّةِ سَامِيْ الْقَدْرِ وَالْعِظَمِ
هُبُّوْا عَلَىٰ الْعِلْمِ أَنْفَاسًا مُبَارَكَةً * وَرَفْرِفُوْا فِيْهِ أَعْلَامًا عَلَىٰ عَلَمِ
وَاسْتَقْبِلُوْا الْفَوْزَ فِيْ الْعُقْبَىٰ عَلَىٰ عَمَلٍ * بِالْمِسْكِ مُفْتَتَحٍ بِالْمِسْكِ مُخْتَتَمِ (١)

أَنْشَدَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا (ت ٢٨١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ

كَمْ مِنْ حَسِيبٍ أَخِي عِزٍّ وَطَمْطَمَةٍ * فَدْمٍ لَدَىٰ الْقَوْمِ مَعْرُوفًا إِذَا انْتَسَبَا
فِي بَيْتِ مَكْرُمَةٍ آبَاؤُهُ نُجُبٌ * كَانُوا الرُّؤوسَ فَأَمْسَىٰ بَعْدَهُمْ ذَنَبَا
وَخَامِلٍ مُقْرِفِ الْآبَاءِ ذِي أَدَبٍ * نَالَ الْمَكَارِمَ وَالْأَمْوَالَ وَالنَّسَبَا
الْعِلْمُ زَيْنٌ وَذُخْرٌ لَا نَفَادَ لَهُ * نِعْمَ الضَّجِيعُ إِذَا مَا عَاقِلٌ صَحِبَا
قَدْ يَجْمَعُ الْمَرْءُ مَالًا ثُمَّ يُسْلَبُهُ * عَمَّا قَلِيلٍ فَيَلْقَىٰ الذُّلَّ وَالْحَرَبَا
وَجَامِعُ الْعِلْمِ مَغْبُوطٌ بِهِ أَبَدًا * فَلَا تُحَاذِرْ مِنْهُ الْفَوْتَ وَالسَّلَبَا (٢)

---

(١) « ديوان محمد العيد آل خليفة الجزائري » (ص١٠٠).

(٢) « المجالسة» للدينوري (٤/ ٤٦٣)، ومن طريقه: [« تاريخ دمشق» (٢٥/ ٢٠٨)]، « الفقيه المتفقه» للخطيب (١/ ١٨٦)، و« جامع بيان العلم وفضله» لابن عبدالبر (١/ ٢٥٠)، « معجم الأدباء» (١٢/ ٣٦)، وقد نُسِبَتْ بعضُ هذه الأبيات إلى =

أيها الحمادي، إنَّ هَـذا الْكِتَابَ الْطَيِّبَ الْجَامِعَ [١] لِأَهَمِّ الْآثَارِ الْعِلْمِيَّةِ لِأُسْرَتِنَا الْغَالِيَةِ، سَيَبْلُغُ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ ـ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَىٰ ـ، فَحَرِيٌّ بِالْأُسْرَةِ « الْحَمَادَىٰ » أَنْ تَحْفَلَ بِهِ، وَتَشَمَّهُ شَمَّ الْوَرْدِ، وَتَضُمَّهُ ضَمَّ الْوَلَدِ، خَاصَةً أَنَّهُ مَلِئٌ بِمُسِيْلَاتِ اللُّعَابِ مِنَ الْعَنَاوِيْنِ الْجَاذِبَةِ الْفَاتِنَةِ مِنْ كُلِّ فَنٍّ وَبَابٍ، وَهُوَ مَفْخَرَةٌ لِلْحَمَادَىٰ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ؛ لِأَنَّ الْكِتَابَ يَحْمِلُ اسْمَهُمْ، وَيَجْعَلُ لَهُمْ مِيزَانًا وَمِيْزَانِيَّةً، وَالْسُّمْعَةُ الْطَّيِّبَةُ أَعْظَمُ ثَرَاءً، وَأَحْسَنُ أَثَرًا.

أَكْرِمْ بِذِيْ أَدَبٍ أَكْرِمْ بِذِي حَسَبٍ ❋ فَإِنَّمَا الْعَزْمُ فِي الْأَحْسَابِ وَالأَدَبِ [٢]

=

أبي الأسود الدؤلي، انظر « تاريخ دمشق» (٢٥/ ٢١٠)، و« ديوانه ـ المستدرك عليه ـ » تحقيق: محمد آل ياسين (ص٣٨٣)، وقد وضعَ الأبيات في القسم الثاني: المشكوك في نسبته.

وقد نسبت بعض أبياتها إلىٰ الأصمعي ظنًا كما في « الخامس من الخلعيات» مخطوط في الشاملة، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق» (٢٥/ ٢٠٩).

(١) الكتابُ الذي كُتِبَتْ له أصل هذه الحمَادِية: « دليل النتاج العلمي للحماديٰ» لابن العم د. علي بن عبدالعزيز الحمودي ـ جزاه الله خيراً ـ.

(٢) « روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» (ص ٢٣٠).

الْعِلْمُ الطَّيِّبُ حَيَاةٌ طَيِّبَةٌ، فَلْيَسْتَمِرَّ هَذَا الْحَسَبُ الطَّيِّبُ لِأُسْرَتِنَا الْمُبَارَكَةِ، وَلْيُنْشَرْ مَا فِيْ هَذَا الْنِتَاجِ الْمُبَارَكِ فِيْ الْآفَاقِ.

وَمِنْ الْسُّؤْدَدِ وَالْشَّرَفِ أَنْ يَنْشُرَ الْأَبْنَاءُ عِلْمَ الْآبَاءِ وَالأَجْدَادِ، فَالْنَّفْسُ تَجِدُ مُتْعَةً فِيْ تَحَمُّلِ الْعِلْمِ عَنْ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ، وَتَنْشَطُ فِيْ نَشْرِهَا وَتُسْنِدُهَا؛ إِبْقَاءً لِلْشَّرَفِ وَسِلْسِلَةِ الْنَّقَلَةِ، حَتَّىٰ فِيْ أَدَقِّ مَنْهَجٍ وَهُوَ مَنْهَجُ أَهْلِ الْحَدِيْثِ الْنَّبَوِيِّ فَقَدْ كَانُوْا يَحْرِصُوْنَ عَلَىٰ الْنُّزُوْلِ فِيْ الإِسْنَادِ؛ لِأَجْلِ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ، قَالَ ابْنُ رَشِيْدِ الْفِهْرِيُّ (ت ٧٢١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

(... فَكَثِيْرَاً مَا يَتَحَمَّلُوْنَ الْنُّزُوْلَ وَيَدَعُوْنَ الْعُلُوَّ وَإِنْ كَانَ عِنْدَهُمْ؛ حِرْصَاً عَلَىٰ ذِكْرِهِ عَنِ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ وَإِبْقَاءً لِلْشَّرَفِ وَلِذَلِكَ مَا تَجِدُ الْأَسَانِيْدَ تَنْزِلُ كَثِيْرَاً فِيْ الْمَسَافَةِ فِيْ هَذَا الْنَّوْعِ فَيَدَعُوْنَ الْإِسْنَادَ الْعَالِي؛ إِيْثَارَاً لِطَلَبِ الْمَعَالِي). [١]

فَاسْأَلُوْا أَقْلَامَهَا مَا خَطْبُهَا * تَتَمَشَّىٰ فِيْ الْقَرَاطِيْسِ رِقَاقَا
أَيُّهَا الْدَّائِبُ فِيْ تَثْبِيْطِهَا * وَشُعُوْبٌ دُوْنَهَا حَازُوْا الْسِّبَاقَا

---

(١) « السنن الأبين» (ص ٩٤).

قَــوِّضِ الْسَّــدَّ الَّــذِيْ شَــيَّدْتَهُ * قَبْـلَ أَنْ يَجْتَابَــهُ الْقَــوْمُ اخْتِرَاقَـا
خُـذْ إِلَـىٰ صَـدْرِكَ كَفَّيْـكَ وَدَعْ * خَيْلَهَا تَعْدُوْ إِلَىٰ الْمَجْدِ انْطِلَاقَا
وَقُـــلِ الْفَصْـــلَ إِذَا حَـــدَّثْتَهَا * فَالرِّيَــاءُ الْيَــوْمَ لَا يَلْقَــىٰ نَفَاقَـا
أَنْـــتَ تَبْغِيْهَـــا خُمُــوْلاً وَإِذَا * أَهَّبَتْ لِلصِّيْتِ ضَاعَفْتَ الْوِثَاقَا
مَــنْ عَــذُوْلِي إِنْ أَنَـا مَجَّــدْتُّهَا * يَـوْمَ تَجْتَـاحُ قُيُـوْداً وَرِبَاقَـا [١]

دُوْنَكَ الْكِتَابَ[٢]، احْمِلْهُ عَلَىٰ هُوْنٍ، وَاقْرَأْهُ مِنْ أَعْلَىٰ:

سَلْ عَنْهُ، وَانْطِقْ بِهِ، وَانْظُرْ إِلَيْهِ تَجِدْ *
مِلءَ الْمَسَامِعِ وَالأَفْـوَاهِ وَالْمُـقَلِ [٣]

---

(١) العلامة: الخضر حسين (ت ١٣٧٧ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ «موسوعة الأعمال الكاملة» (٧/ ١٦٠).

(٢) الكتابُ الذي كُتِبَتْ له أصل هذه الحمَادِية: «دليل النتاج العلمي للحمادي» د. علي الحمودي.

(٣) قاله ابن شرَف يمدحُ أبا الحسن عليَّ بنَ أبي الرَّجاء الشيبَاني في قصيدة جميلة. انظر: «الذخيرة» لابن بسام (١/ ٣٨٣)، «ألف باء للألبَّاء» للبلوي (١/ ٤٩٨) ـ وانظر تعليقه عليه ـ، «تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٤٢٧).

وَفَّقَ اللهُ الْجَمِيْعَ، وَسَدَّدَ الْخُطَىٰ، وَبَارَكَ فِيْ الْجُهُوْدِ، وَيَسَّرَ نَشْرَ هَذِهِ الرَّسَائِلَ وَالْبُحُوْثَ، وَنَفَعَ بِأُسْرَتِنَا الْكَبِيْرَةِ آلِ الْحُمَيْدِيِّ = الْحَمَادَىٰ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

كتبه:

إبراهيم بن عبد الله المديهش

النشرة الرابعة ـ مزيدة ومصححة ـ :

[١/ ٢/ ١٤٤٣هـ]

ما ارتضيتُ وضع خلاصة ؛ لأن الحماسية لا تُختصَر

وما رغبتُ بوضع فهرس ؛ لأن الحماسية لا تُجزَّأ



نَسَبُهَا، أُسَرُهَا، تارِيخُهَا، بُلْدانُهَا، أَعْلامُهَا

مُؤَلَّفَاتُهَا، وَثائِقُهَا، وَمَعالِمُ أُخْرَى.

تأليف

ابراهيم بن عبدالله المديهش

الإنتاج العلمي لأُسر الحمادى

ببليوجرافيا

المجلد الأول

إعداد:

د. علي بن عبد العزيز بن محمد الحمودي

قسم علم المعلومات - كلية الآداب

جامعة الملك سعود

الطبعة الأولى - الرياض

1442هـ/ 2020م

